16 em Année No. 782 — Lundi — 28 — 6 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٨٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ شعبان سنة ١٣٦٧ — ٢٨ يونيوسنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

العـــلم والفن ...

هل يلتقيان ؟

للأستاذ محمود تيمور بك

ما أوسع الهوة بين العلم والفن ! العلم حقائق مسلمة ، وتجارب محكمة ، ونظريات تمخض عنها جهد المعامل ووسائل الاختبار ، وأوضاع تقوم على أسس هندسية ورياضية رائدها العقل الواعى وحده خالصاً من كل شوب .

أما الفن بمعناه الأدبى فهو التماع الخاطر ، وبث النفس ، ووهج المشاعر ، واستجابة المنازع لما يصادفها فى الحياة من أحداث ومشاهد ومؤثرات . والكثير من ذلك كله رائده العقل الباطن يستيقظ فيبعث ومضاته فى غفلة من العقل الواعى ، وتسلل من رقابته الصارمة ...

ومما يعين على جلاء هذه الفكرة تصور موقفين للأديب والعالم من التاريخ :

يقف العالم أمام الحادث التاريخى وقفة فاحص ممحص ، يستكشف الأسانيد ويتثبت من السنين ، ويقتنص القرائن ، وينتخل الشواهد والأشهاد ، وما يزال معانياً ذلك فى يقظة وترصد وتحفظ ، حتى يطمئن إلى تحرير ما وقع على حقيقته جهد إمكانه ...

ويقف الأديب أمام ذلك الحادث التاريخى بعينه ، فلا يعنيه منه إلا روحه وجوهره ؛ يجاهد نفسه ليعيش فيه ، ويترك لأجنحة مخيلته أن تحلق به فى سمائه ليستنزل الوحى ويستمطر الإلهام ، فإذا هو يظفر بموضوع إن أنكره التاريخ فى صومعة حقائقه وأعلامه ، وفى متحف أحجاره وآثاره ، لم ينكره الفن حين يطالع فيه صورة إنسانية يحيا داخل إطارها ذلك الحادث التاريخى بشخوصه وما يعتلج فى نفوسهم من مشاعر ورغائب واستجابات

ولذلك كان كثيراً ما تتشابه الأحداث والشخصيات التاريخية أقوى التشابه على اختلاف المؤرخين ، وتغاير درجاتهم فى التأليف ؛ ولكن الأدباء الفنانين إزاء تلك الأحداث والشخصيات يختلفون فى تصويرهم لها اختلافاً يقل أو يكثر ، فلكل منهم جانب استيحاء وقبلة استلهام ، وكل منهم يصبغ بصبغة نفسه عمله الفنى ، ويستمد من ذاته الوقود ، وكل منهم يودع قصته ذخيرة من جوهر الإنسانية والحقائق البشرية ، على قدر ما يستطيع أن ينفذ إلى ما يتدسس فى العقل الباطن ، فيواتيه الوحى والإلهام .

ومثل آخر يساق فى هذا المقام ؛ فقد يقع القارىء فى لبس واسترابة حين يقرأ تراجم الأشخاص ، فيرى بعضها قد اتخذ مسحة دقيقة من النسق التاريخى ، والتحقيق العلمى ، واستنباط النتائج من أسبابها الصحيحة طوعاً لقضايا المنطق ؛ ويرى بعضها الآخر ليس إلا صوراً تستند أكثر ما تستند إلى الاستلهام الفنى فتطالعه بملامح إنسانية ناطقة تحمل طابع عصرها وجوه .

وإنما يتعرض القارىء لذلك اللبس والاسترابة ؛ لأنه لم يفرق بين نوعين متباينين أشد التباين ؛ أحدهما : نوع الترجمة التاريخية التى تحتشد فيها الحقائق والأسناد ، والآخر نوع الصورة الوصفية التى تتضوأ فيها ألوان من شخصية الكاتب ، وقوة تخيله واستلهامه فى الوصف والتصوير .

فالمترجم التاريخي عدته أمانة النقل ، ودقة التمحيص ، والمصور الوصفي عدته إطلاق المخيلة وصدق الإلهام .

فلو تمثلنا أن خمسة من المصورين في مرسم فنان يصورون نموذجاً واحداً من النماذج ، ولكل منهم موضع أمام النموذج خاص ؛ فإننا حين نعرض ما صوره هؤلاء الفنانون الخمسة نجد فروقاً بينها جميعاً ؛ لأن كل مصور رسم صورته على وفق الوضع الذي نظر إليه ، واستمد إلهامه فيه ، فأسبغ على الصورة من ذات نفسه ما سمحت به ، والنموذج واحد ولكن الصور تختلف لأنها صور فنية لا بد أن تظهر على سماتها أثارة من اختلاف المصورين ...

وإذا كنا نشير إلى سعة الهوة بين العلم والفن ، وتباين منبعيهما : العقل الواعي ، والعقل الباطن ، فإننا لا نعني بذلك أن لا تواصل بينهما على نحو من الأنحاء ، فلسنا نغفل أن الحدود القائمة بين الأديب والعالم قد تتداخل فيكون منها مزاج لا هو بالأدب المحض ، ولا هو بالعلم الصراح .

ولقد يتجرد مؤرخ لكتابة التاريخ ، فتراوحه نسمات من فن البيان تجمل صفحات تاريخية موشاة بالأدب ، ولقد يخلص أديب لبعض فصوله في تصوير الحياة ونقد المجتمع فتحصره قواعد مقررة ، وأوضاع سائدة ، تصل فصوله بمناهج البحث العلمي ...

وربما توافرت إجادة المزج لذلك المؤرخ أو هذا الأديب فيما يعالجانه حتى ليتعذر على القارىء أن يرد كلا منهما إلى العلم وحده أو الفن وحده ...

على أن الذي لا نزاع فيه : هو أن الدقة العلمية ، والحقيقة التاريخية ، لا تشغل بال الفنان قدر ما تشغله خصائص النفس الإنسانية ، وتأثرها بما يساورها من ملابسات الحياة .

فالفن لا طاقة له بالاحتباس داخل أسوار معمل تتحدد فيه الأقيسة وتتعين الأرقام ، وإنما يتطلب الفن جواً طليقاً ينتعش فيه ويمرح ، لا سلطان عليه إلا سلطان الإحساس والشعور .

ذلك لأن الفن الإنساني الخالص ليس مجرد تسجيل مرئيات عابرة ، ولا التقاط ظواهر عارضة : وإنما هو انتزاع لأقصى ما في أعماق النفس ، واستشفاف لما ينطوي بين الألفاف ، وتعرف لأشتات المؤثرات ما يدق منها أو يجل ، وما هو قريب أو بعيد .

محمود تيمور

وارسو نقطة ارتباط بين موسكو وتل أبيب

للأستاذ نقولا الحداد

قلنا غير مرة إن الصهيونية والشيوعية أقنومان لعنصر واحد فما صدقوا ، ونقولها مرة أخرى بالدليل المحسوس .

بين يهود فلسطين القدماء والجدد نحو ٤٥ بالمائة بولونيون ، أي نحو ٣٥٠ ألفاً تسربوا إلى البلاد ، قليلهم قبل الحرب وكثيرهم في أثنائها وبعدها . وفي وارسو عاصمة بولونيا القسم الرئيسي للصهيونية . وما الوكالة الصهيونية في فلسطين إلا فرع لتلك . والأصل البولوني أصبح نقطة ارتباط بين موسكو وتل أبيب . لأن الصهيونيين لما رأوا أن قضية دولتهم المنتظرة أصبحت في الميزان صاروا كالأخطبوط يمدون أيديهم إلى كل مكان لكي يتمسكوا ويتشبثوا

لما رأوا أن بريطانيا لا تستطيع أن تضمن لهم دولة إسرائيل لأنها لا تريد أن تبيع صداقة العرب بخيالات صهيون ، رأوا أن يعتصموا بدولة السوفيات لعلها تشد أزرهم ، أو أنهم بهذا الاعتصام يتهددون بريطانيا وأمريكا عدوتي روسيا .

ولكن السوفيات عدوة الرأسمالية ، واليهود أمراء الرأسمالية ، فليس سهلاً التوفيق بين إسرائيل والسوفيات . ولذلك نشأت نقطة الارتباط بين الجانبين في وارسو عاصمة بولونيا ، وتولت الوكالة الصهيونية هناك مزج الزيت بالماء . فكانت تعاليمها ليهود فلسطين الجدد أن ينظموا أحوالهم طبقاً لاشتراكية كارل ماركس ما استطاعوا إلى هذا سبيلاً . ففعلوا ذلك في معظم مستعمراتهم المستجدة . فإذا زرت أية مستعمرة صهيونية في فلسطين رأيت سكانها مشتركين في الإنتاج والإنفاق ، حتى إنك تراهم في المستعمرات الصغيرة يأكلون على مائدة واحدة على اختلاف أسرهم ، كما فعل الأثينيون القدماء ردحاً من الزمن حين كانوا يجربون الجمهورية . فعل اليهود هذا في فلسطين ، حتى إذا زاد مستعمراتهم هذه شيوعيون روسيون أرسلوا تقارير إلى موسكو

عن نظامهم هذا إقناعاً لحكومة ستالين بأن الشعب الصهيونى ليس رأسمالياً .

وكانت الوكالة اليهودية فى وارسو تحاول أن تقنع موسكو بهذا الواقع . وكانت عصابة شترن تقوم بالدعاية لهذا الوضع ، وكانت فظائع العصابات الصهيونية تتطاول على قوات الانتداب البريطانى كما هو معلوم ، فتقطع فى الجنود البريطانيين وغير الجنود لكى يظهر لروسيا أن الصهيونيين هم أعداء أعدائها .

ولهذا سهل على الوكالة الصهيونية الرئيسية فى وارسو أن تقنع روسيا بأن دولة إسرائيل إن تكونت ، تكون خير نصرائها ضد إنكلترا وأمريكا ، وأن بترول الشرق الأوسط الذى يقتتل عليه الشرق والغرب يتسرب إلى موسكو فى أنابيب الصهيونية

ولما طرحت المسألة الصهيونية فى هيئة الأمم كان الارتباط بين موسكو وتل أبيب عن يد وارسو قد تمكن بدليل أنه ما اقترح مشروع التقسيم المشئوم فى الهيئة حتى وثب جروميكو مندوب روسيا وثبة الفهد على الفريسة وأعلن موافقة روسيا على التقسيم . والعقل الأنجلوسكسونى فى بريطانيا وأمريكا بطىء الفهم فما حسب حساب هذه الوثبة . لعل كادوجان ممثل إنكلترا حسبه . وأما ترومان فما بالى ولسان حاله يقول : متى ظفرت بكرسى الرئاسة فبعدى الطوفان . ولكنه غير ظافر بالكرسى والطوفان مغرقه على كل حال .

شعر الساسة الإنكليز باللعبة الصهيونية السوفياتية . فبينما كانت الوكالة الصهيونية فى وارسو تعمل عملها كانت بريطانيا قد أوفدت الجنرال كايتن برسالة غير رسمية يطوف بها على العوالم العربية ، وهو يعرف اللغة العربية جيداً ، ويحاول أن يقنع أساطين العرب أنه خير لهم أن يلوذوا بإنكلترا فهى خير نصير لهم . ولكنهم أفهموه أنهم لا يثقون بكلمة إنكلترا بعد أن كذبت مراراً وقالوا : « الصيف ضيعت اللبن »

على أن العرب عملوا بالقول السائر : « ما حك جلدك مثل ظفرك » فاتكلوا على الله ووحدوا كلمتهم وقابلوا كل قوة ضدهم صهيونية وغير صهيونية بالحزم والعزم ، فإذا لم تتخابث الدول الأجنبية فهم منتصرون بإذن الله .

إن الارتباط بين موسكو وتل أبيب لا يزال على شىء من الوهن لأن موسكو لا تثق كل الثقة باليهود ولو ارتموا فى أحضانها ، لأنها رأت وترى كل يوم أدلة على خياناتهم ، فما يعنونها به من المنافع البترولية والاستراتيجية غير مضمون . ولذلك تعطف عليهم بحساب : حسبهم أنها أول من اعترف بدولة إسرائيل . وكان بعض رجال الدولة المزيفة يزورون وارسو فى الآونة الأخيرة ساعين فى طلب مساعدة روسيا ، ومنهم موسى سنيخ المتطرف فقد قضى أخيراً فى وارسو أسبوعين لهذا الغرض .

وعصابة شترن الإرهابية أشد العصابات الصهيونية إعتداداً بالمونة الروسية واعتزازاً بالشيوعية . ولذلك تستنكر أن يكون الزعيم ويزمان على رأس الجمهورية الإسرائيلية الملفقة ، لأنه لا يجحد الرأسمالية بل يؤيد . فيخافون أن رئاسته لجمهورية إسرائيل تنفر روسيا .

وفى أواسط أبريل الماضى احتفل يهود بولندا بذكرى تدمير النازى لحى اليهود فى وارسو سنة ١٩٤٣ وترأس الحفلة أدولف برمان وهو أخو جاكوب برمان أحد وزراء بولونيا . وله وظيفة الرقابة غير الرسمية من قبل المكتب السياسى الروسى .

وقد انتهز المحتفلون الفرصة وعقدوا اجتماعاً سرياً مثل نحو ٢٠ وفداً ، منهم وفد فلسطين برئاسة رومان لامبوسكى ممثل المكتب السياسى فى بولونيا .

وأبلغ رومان الحضورَ أن روسيا لا تدخر وسعاً فى جعل فلسطين دولة يهودية وأن تكون مرتبطة بها ارتباط الابن بالأب . ثم حرض الحاضرين على مقاومة الاستعمار البريطانى والأمريكى كلما سنحت الفرصة للمقاومة .

فإلى أى حد تناصر روسيا الصهيونيين ؟

سيظهر هذا فى الليالى الحبالى القادمة .

نقولا الحداد

آثار الملوك والسلاطين المصريين
بمدينتي القدس والخليل

للأستاذ أحمد رمزي بك

روى عن أنس بن مالك أنه قال :
« إن الجنة لتحن شوقاً إلى بيت
المقدس ، وبيت المقدس من جنة الفردوس »

مقدمة :

لملوك مصر وسلاطينها اليد الطولى في إنشاء المباني العالية بمدينة القدس ، إذ لهم المدارس والمساجد وبيوت العلم والرباطات والحصون التي بنوها وأنفقوا عليها من أموالهم وحبسوا على خدمتها الأوقاف ورصدوا لوجوه الخير الأموال والضياع والعمائر مما لا يصدقه الجيل الحالي .

ذلك لما حباهم المولى تعالى من بسطة في الملك والعظمة ، ولما رزقهم من نصر يتبع نصراً ، ولما اشتهروا به من أنهم خدام الحرمين الشريفين بمكة والمدينة ، وسدنة الحرمين الشريفين بالقدس والخليل . والمتتبع لهذه الحقبة من الزمن يقف حائراً أمام عظمة تلك العهود وأمام عظمة هؤلاء الملوك ، وتأخذه الحيرة لماذا أخفى الناس تلك الأيادي البيضاء ؟ وما الحكمة في تناسي ماض لنا هو جزء منا لا أقول يكمل شخصيتنا ، بل أذهب إلى أكثر من ذلك فأقول هو أكبر مظهر لمصر الإسلامية العربية وأثرها في تاريخ العالم .

عودة إلى الماضي :

كان ذلك في نهاية عام ١٩٣٥ ، هو أول عهدي بفلسطين ، حين دعيت إلى العشاء بمنزل المندوب السامي البريطاني ، الجنرال السير آرثر ووكوب ، فجاء مكاني بجوار المستر ريتشموند مدير مصلحة الآثار ، وتناول برفق عدة مسائل تمت بصلة إلى التاريخ والآثار ، وعرض لهبة زوكفلر التي رفضتها مصر ، فقبلتها فلسطين ، ورأى في هدوءاً واستماعاً ورغبة في الاستزادة من علمه ، فدعاني لزيارته في متحفه ، وكنت مأخوذاً بالتعرف إلى الآثار المسيحية ، وقد وضع النائب البطريركي للروم الأرثوذكس برنامجاً لي ، فرأيت أن أحدثه في ذلك وأن أستعرض معه بعض ما لديه من التحف مما يمت إلى العصور المصرية القديمة . وهنا طفق يحدثني بطلاقة عن دهشته من الثروة الإسلامية التي أنشأها ملوك مصر في أنحاء فلسطين ، وما خلفوه فيها . وكنت أنصت لحديثه وهو يقول : إن مصير هذه الآثار إلى الزوال إذا لم تتداركها عناية حكومة إسلامية قوية مثل مصر . وإني لأدهش من موقفكم ، تقيمون الدنيا لاكتشاف حجر قديم فرعوني ، وتنسون ماضيكم القريب . لكم المدارس والمساجد والقباب مما يشهد لملوككم وأمرائكم بحسن الذوق وعظمة النفس وعلو الهمة في تذوق الفن ، وتتركون كل هذا وكأن الأمر لا يعنيكم ؟

وكنت أجهل الكثير مما يقول ولا أعرف من آثارنا سوى مدرسة قايتباي ، فأخذت في أشباع نفسي المتطلعة إلى الاستزادة من المعرفة ، وقلت إذا نظر الناس إلى الماضي نظرة تقديس وإلهام ، فلم لا أنظر إليه نظرة الباحث المتعلم ؟

إن الثمن الذي سأدفعه قد يكون غالياً ، إذ أحدث الناس من قوى بعالم لم تسمعه آذانهم : وقد يتخذ الذين لا يؤمنون بشيء أقوالي هزواً لهم ، لأني أحدثهم بما لم يألفوا ، ولأني أضع للناس قيماً جديدة لبعض الأشياء التي لم يؤمنوا بها ولن يصدقوا بعظمتها

وكان أهم ما لدى أن أومن أولا بعظمة ماضينا الإسلامي وأن أعيش فيه ، وقد كان ولا يزال مهما غلا الثمن ومهما كانت التضحية فإنه من أسعد الأوقات أن أشيد بهذا الماضي ، وأن انتهز الفرص للكتابة فيه . وليس أسعد من أن يسمع العالم انتصار جنود العروبة على عصابات الصهيونيين وإخراجهم من داخل مدينة القدس القديمة ، فإن هذا النصر جعلني أحن إلى القدس ، وهي مدينة من أحب مدن العالم إلى قلبي ، ولذلك يلذ لي أن أكتب شيئاً عنها في هذه الأيام التاريخية الخالدة التي نحياها : أكتب للحقيقة والتاريخ ، وأعيد قيم الأشياء كما كانت ؛ فأرجو ألا يحمل كلامي على غير ظاهره ، أو أن يؤخذ بأنه يرمي إلى أهداف سياسية . لقد عاشت مصر والشام سوياً أكثر من ثمانية قرون ، وعلى صعيد هذه الأرض كتب أسلافنا بدمائهم قصص الملاحم

الكبرى وذاقوا طعم النصر ، كما أنشأوا أعظم ما يمكن تصوره من المباني ، تقرباً إلى الله ولخدمة هذا الدين الحنيف ، وكان عامل الخير وحب الناس طابعهم ، وكانت تسوقهم عاطفة خالصة نحو هذا ، لذلك نجحوا حيث أخفق الغير : فإذا كتبت أشير إلى هذا الماضي العظيم فإنما أدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة

سلسلة من أعمال الخير والإنشاء :

كان ولا يزال للمسجد الأقصى ولمسجد الخليل إبراهيم المقام الأسمى في نفوس المسلمين . ولذلك اعتنى بهما ملوك مصر من عهد الملك الناصر صلاح الدين والدنيا يوسف بن أيوب الذي أتم الله فتح القدس على يديه ؛ فإنه اتخذ سنة عمل الخير والعمارة ، واتبع سنته من جاء بعده من ملوك بني أيوب .

وفي عهد الدولة التركية من الأمراء البحرية بعد أن اتسعت الفتوحات وتوالت الانتصارات تردد اسم الملك الظاهر بيبرس كأعظم القواد العالميين وشبه بإسكندر الزمان ، وكان من أكبر البناة والمنشئين أفرد له الأستاذ كريسويل العالم المشهور كتابا عن آثاره بمصر . أما في فلسطين فقد ذكر صاحب الأنس الجليل — قاضي القضاة أبو اليمن مجير الدين الحنبلي رحمه الله — أنه اعتنى بعمارة المسجد الأقصى وجدد فصوص الصخرة الشريفة التي على الرخام ، وعمر الخان الكائن بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب إلى الشمال المعروف بخان الظاهر ، ونقل إليه باب قصر الخلفاء الفاطميين ، ووقف عليه نصف قرية لفتا وغيرها من القرى .

ولقد كانت أكثر قرى دمشق وأراضي البقاع داخلة في أوقاف الظاهر الذي لم يترك باباً لفعل الخير إلا طرقه وحبس الضياع على أئمة المسجد الأقصى ، وعلى تفرقة الخبز وإصلاح حال النازلين والآتين للزيارة من مختلف الجهات .

وفي أيام الملك المنصور قلاوون تمت عمارة سقف المسجد الأقصى من جهة القبلة مما يلي الغرب ، وتم إنشاء الرباط المنصوري المشهور بباب الناظر ، وهو رباط كان في منتهى الحسن والبناء المحكم ، هذا غير الإصلاحات التي أتمها المنصور بالحرم الخليلي وغير الرباط والبيمارستان اللذين أنشأهما هناك .

أما ابنه الملك الأشرف المدفون على مقربة من مقام السيدة نفيسة فقد كان من أعظم الملوك حتى إنه على يديه أتم الله فتح البلاد الساحلية وإنهاء الحروب الصليبية ، وفي عهده تم عمل فصوص الصخرة الشريفة التي بدأت منذ أيام الملك الظاهر ، وجدد عمارة السور الشرقي المطل على مقبرة باب الرحمة .

وفي أيام الملك المنصور لاجين جددت عمارة محراب داود الذي بالسور القبلي عند مهد عيسى عليه السلام بالمسجد الأقصى .

ثم جاء العهد الناصري ، أي حكم الناصر محمد بن قلاوون الأخير الذي استمر حتى وفاته ، وكان وزيره بالشام الأمير الكبير تنكز وهو الذي قيل في محاسنه(١) :

ألا هل لليالات تقضت على الحمى تعود بوعد للسرور منجز
ليال إذا رام المبالغ وصفها لشبهها حسناً بأيام تنكز

وهو الذي له المنشئات العظيمة بمصر ودمشق والقدس وبيروت ، وله الأيادي البيضاء حتى مدينة ملاطية في الشمال حيث أراضي الجمهورية التركية . ففي عهد ولايته عمر السور القبلي بالقدس ورخم صدر المسجد الأقصى ومسجد سيدنا الخليل إبراهيم ، وتم فتح شباكين بالمسجد الأقصى ، وجدد تذهيب القبتين قبة الصخرة وقبة المسجد الأقصى . ويقول صاحب الأنس الجليل : ومن عجب أن تذهيب قبة الصخرة كان قبل المشرين والسبعمائة ، وقد مضى عليه إلى عصرنا هذا أكثر من مائة وثمانين سنة وهو غاية الحسن والنورانية ، ومن رآه قضى أن الصانع قد فرغ منه الآن .

ويطول بنا البحث إذا ذكرنا عمائر تنكز كلها في القدس فهي كثيرة متنوعة فيها بناء الأبواب والقنوات وأهمها إيصال المياه من بركة السلطان بظاهر القدس إلى المدينة وهو عمل هندسي عظيم ، هذا غير أعمال الترميم في الأسوار والقلاع والحصون والأبراج .

وقد نقشت كل هذه الأعمال على الرخام والحجارة وعليها تاريخ عمارتها . لقد كان عصراً فذاً لا يعادله في المعمار عصر من العصور .

(١) من قصيدة لصلاح الدين الصفدي لما تولى الأمير الطنبغا الصالحي نيابة الشام

ولما ولى السلطان برقوق العرش أراد أن يسير على غرار من تقدمه من ملوك بيت قلاوون فأخذ في عمارة ركة السلطان وأنشأ دكة المؤذنين تحت قبة الصخرة تجاه المحراب للمبلغين، ووقف الضياع التي كان يملكها بناحية نابلس على سماط سيدنا الخليل وشرط ألا يصرف ريعها إلا على السماط الكريم: وأخذ بسنة الملك الظاهر بيبرس فكتب نص الوقفية على باب مسجد الخليل إبراهيم كما كتب الظاهر ومن جاء بعده نصوص الأوقاف على أبواب المساجد فلم يغن ذلك شيئاً بل نزعت الأملاك المرصودة لعمل الخير وتداولتها الأيدى، ولم تحمها القوانين الوضعية كأملاك مرصدة للمنفعة العامة فلا يصح تملكها أو وضع اليد عليها ولله في خلقه شئون.

مؤلفات العصور الماضية:

ذكر صاحب مسالك الأبصار، أن الصاحب تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن أمين الملك، ألف كتاباً سماه « سلسلة المسجد في صفة الصخرة والمسجد ».

ولا أدرى هل أبقى الدهر على هذا المؤلف أم ذهب مع الزمن. والذي يظهر مما أورده صاحب مسالك الأبصار نقلا عنه أن المؤلف لم يترك شاردة من غير أن يأتى بها. وإنى لدهش من موقفنا إزاء ماضينا؛ فهذا يكتب عن المسجد الأقصى في حوالى سنة ٧٤٣ هـ، وهذا يقصر عنه الكثيرون، ونعيش نحن في القرن العشرين وقد ملأ أنصاف الرجال الدنيا بدعايتهم عن أنفسهم، ولا نجد بين أيدينا كتابا يعرفنا بالمسجد الأقصى. فلنسر معه قليلا: نجد في كلامه عن قبة الملك المعظم (ويقصد بها جزءاً من المدرسة المعظمية) أنه يقرر أن دروس النحو كانت تقام بها، وأن عدد طلبتها كان خمسة وعشرين نفراً من الحنفية؛ وهى من عمل ملوك بنى أيوب العظام. وفي كلامه وصف دقيق للرباط المنصورى والأبواب والشبابيك التي بالحرم. ثم انظر إليه حيث يقول:

« ولقد مضى على في مجاورة هذا الحرم الشريف الفصول الأربعة، فرأيت له في كل فصل محاسن في غيره لم تجمع، وهو أنه من مبدأ فصل الربيع تبدو فيه من الأزاهر المختلفة الألوان ما يستوقف بحسنه لب الذكى الأروع، وكل أحد ممن له معرفة بالأعشاب يأتى إليه ويأخذ من تلك الأزاهر ما علم منفعته ومضرته ».

ومن حديثه يتبين أن هذا الحرم الشريف والقبة والصخرة، لم تعدم اهتمام أهل الخير من مختلف الناس، فهذا الأمير علم الدين سنجر الجاولى ينشىء مدرسة باسمه، وهذا عالم من العلماء أو تاجر عظيم يتبرع من ماله، وينشىء بئراً أو سبيلا أو باباً، أو يهدى مصحفاً أو قنديلا.

ومن قبيل ذلك ما أورده صاحب الأنس الجليل: من أن سلاطين بنى عثمان وغيرهم من ملوك المسلمين، شاركوا سلاطين مصر قبل الفتح العثمانى في الاهتمام بالمسجد الأقصى: فقد حصل السلطان مراد بن محمد بن بايزيد على ترخيص ملوك مصر بإقامة قراء يقرأون القرآن في مصحف مهدى منه إلى الصخرة.

وكان بنو قرمان من ملوك التركمان بأرض الروم فحصل فهم السلطان إبراهيم على إذن بالقراءة في الصخرة.

هدايا الملوك:

ولو تتبعنا هذه الهدايا لاتسع بنا البحث ولذا نكتفى بما جاء من حسنات الملك الأشرف اينال ملك مصر الذى بعث بالمصحف الكبير الذى وضعه بالمسجد الأقصى تجاه الشباك المطل على عين سلوان، وأوقف له قارئاً ورتب ما مقداره ألف ومائتا أردب ترسل سنوياً قيمتها أربعة آلاف دينار وثمانية دنانير.

ثم توالت الخيرات والهدايا في أيام السلطان أبى سعيد خشقدم المؤيدى إلى أيام الملك الأشرف قايتباى وفي عهده كان ناظر الحرمين الشريفين الأمير ناصر الدين محمد بن النشاشيبى جد الأستاذ الكبير إسعاف النشاشيبى رحمه الله.

وجاء السلطان إلى القدس مرتين وأقام بها وأنشأ وعمر مما يجعل لرحلتيه إلى الديار الشامية أهمية وروعة تشجعانى على أفراد كلمة خاصة بهما.

أحمد رمزى

الفتـــوة
في التاريخ الاسلامي وكتب اللغة
للأستاذ ضياء الدخيلي

في العدد (٧٧٨) من مجلة الرسالة الغراء يقول الأستاذ محمود رزق سليم : (وقال ابن الوردي في لاميته المشهورة .

واهجر الخمرة إن كنت (فتى)   كيف يسعى في جنون من عقل

وشاهدنا في عبارة (إن كنت فتى) وهي ترادف الاستعمال الشائع الآن وهو (إن كنت جدع) أي إن كنت شهما . وبديهي إن معنى فتى لا يفيد لغة معنى شهم) وقد دفعتني كلمة الكاتب الفاضل إلى تحقيق معنى فتى وفتوة ، إذ قد أصبح لكلمة الفتوة في العراق أهمية خاصة ، وقد تردد صداها في تاريخنا السياسي والحربي القريب بعد أن جعلها مسيرو وزارة المعارف اسماً لنظام تربوي يستهدف بعث جيل قوي في جسمه ومبادئه يدربونه على الحياة العسكرية ويعلمونه الرماية واستعمال الأسلحة الخفيفة . وعاد إسم الفتوة مرادفاً للفروسية والشهامة والنبل والعزة القومية ؛ غير أني أجد من الغريب إدعاء بعض الأدباء وعلماء اللغة أن استعمال كلمة (الفتى) بمعنى الرجل الشهم النبيل المتحلي بفضائل الرجولة — هو استعمال مولد ؛ وهذا هو طرفة بن العبد يقول في معلقته

إذا القوم قالوا من (فتى) خلت أنني   عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

قال الزوزني في (شرح المعلقات) يقول : إذا القوم قالوا من فتى يكفي مهماً أو يدفع شراً خلت أنني المراد بقولهم فلم أكسل في كفاية المهم ودفع الشر ولم أتبلد (أي أتردد متحيراً) فيهما . وعنيت من قولهم عنى يعني عنيا بمعنى أراد وقال طرفة .

على موطن يخشى (الفتى) عنده الردى   متى تعترك فيه الفرائص ترعد

قال الزوزني يقول حبست نفسي في موضع من الحرب يخشى الكريم هناك الهلاك ، ومتى تعترك الفرائص فيه أرعدت من فرط الفزع وهول المقام . وقال أيضاً فيها .

ولولا ثلاثهن من عيشة (الفتى)   وجــدك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبقي العاذلات بشربة   كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكري إذا نادى المضاف محنباً   كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب   ببهكنة تحت الخبـاء المعمـد

قال الشارح يقول فلولا حبي ثلاث خصال هن من لذة الفتى الكريم لم أبال متى قام عودي من عندي آيسين من حياتي ؛ فالأولى مبادرتي شرب الخمر قبل انتباه العواذل ، والثانية عطفي إذا ناداني الملتجأ إلي والخائف عدوه مستغيثاً إياي — فرساً في يده انحناء يسرع في عدوه إسراع ذئب يسكن فيما بين الغضا إذا نبهته وهو يريد الماء ؛ فجعل الخصلة الثانية إغاثته المستغيث وإغاثته اللاجئ إليه ؛ أما الثالثة أنه يقصر يوم الغيم بالتمتع بامرأة ناعمة حسنة الخلق تحت بيت مرفوع بالعمد — وهذه مثله العليا التي تحتها قصور تفكيره . والغرض أنه ضمن الفتوة إغاثة الملهوف وتلك هي الشهامة ، وقد اعتبرها من الخصال الداخلة في مكونات الفتوة . ولنشرح غريب الأبيات فنقول (الجد الحظ والبخت . خمرة كميت اللون ضاربة إلى السواد والحمرة قال المتنبي .

إذا أردت كميت اللون صافية   وجدتها وحبيب النفس مفقود

وكره فرسه عطفه لها ، والمضاف الخائف والمذعور . المحنب الفرس في يده انحناء . السيد الذئب . الغضا شجر . المتورد يرد الماء . الدجن إلباس الغيم آفاق السماء . البهكنة المرأة الحسنة الخلق السمينة الناعمة ، المعمد المرفوع بالعمد) .

وقال المتنبي .

فلما أنخنا ركزنا الرماح   بين مكارمنا والعلى
وبتنا نقبل أسـيافنا   ونمسحها من دماء العدى
لتعلم مصر ومن بالعراق   ومن بالعواصم أني (الفتى)
وأني وفيت وأني أبيت   وأني عتوت على من عتا
وما كل من قال قولا وفى   ولا كل من سيم خسفاً أبى

قال الشارح لديوانه (أنخنا نزلنا . العواصم اسم بلاد . والفتى الحر الكريم . أبيت أمتنعت ، وعتوت تجبرت . سام كلف ، والخسف الذل ، وأبى امتنع) — وبعد فها إنك ترى المتنبي قد استعمل كلمة

الفتى فيما يدل على كمال الرجولة والإنسانية الرفيعة ويتضمن الشهامة والإباء وعزة النفس وإليك أيضاً قول الشاعر .

إن (الفتى) من يقول ها أناذا   ليس (الفتى) من يقول كان أبى

ولم يغفل علماء اللغة هذا المعنى وإن لم يوفوه بياناً وإيضاحاً .

قال الجوهرى فى (الصحاح) والفتى السخى الكريم ، يقال هو فتى بين الفتوة . وقد تفتى وتفاتى ، وقد تناقل المؤلفون كلمة الجوهرى من دون تمحيص أو تحقيق وهذا من عيوب كتب اللغة ، فكأنها لتشابهها فيها — كتاب واحد فلم يكلفوا أنفسهم جهد مراجعة الشواهد للتصرف فى التعبير والتبيان ؛ فقال الفيروزابادى فى (القاموس) الفتى الشاب والسخى الكريم ؛ والفتوة الكرم . وقد تفتى وتفاتى، وفتوتهم غلبتهم فيها. وقال البستانى فى (البستان) : الفتى الشاب الحدث والسخى، والفتوة السخاء والكرم والمروءة . وقال فى (أقرب الموارد) الفتى الشاب الحدث والسخى الكريم ، والفتوة السخاء والكرم والمروءة . وقال فى (فرائد اللغة) الفتى الشاب الحدث والسخى الكريم . وقال فى (المنجد) الفتى الشاب الحدث السخى الكريم . (فتايفتو فتواً) الرجل : غلبه فى الفتوة أى السخاء والكرم . وها أنت ترى اللغويين هؤلاء قد تعلقوا بأذيال الكرم والسخاء هذه الفضيلة ذات القيمة الغالية فى حياة الصحراء العربية المجدبة ؛ ولكنك تفهم من سياق أبيات المتنبي وطرفة بن العبد معانى بعيدة عما يحوم حوله علماء اللغة ، فإنك تحس أنهما يريدان بالفتوة الشهامة والفروسية والرجولة وما يقارب ذلك من مظاهر القوة والصبر على المكاره والشدة وصلابة العود والنجدة ؛ وإذن فإننا نكاد نتهم أصحاب المعاجم اللغوية فى شرحهم لمعانى الكلمات . وقال فى (محيط المحيط) الفتى الشاب الحدث والسخى الكريم، والفتوة السخاء والكرم والمروءة وعند أهل الحقيقة هى أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة . وعند السالكين كف الأذى وبذل الندى وترك الشكوى . وإنى أرى أن هذا هو المفهوم لغة من النصوص المتقدمة الذكر . وقال الزمخشرى فى (أساس البلاغة) هذا فتى بين الفتوة وهى الحرية والكرم . قال عبد الرحمن بن حسان .

إن الفتى لفتى المكارم والعلى   ليس الفتى بتملج الصبيان

وقال آخر :

يا عزهل لك فى شيخ (فتى) أبداً   وقد يكون شباب غير فتيان

(التملج هو الذى لا يثبت على حالة ، يكون مرة سخيا ومرة بخيلا ومرة شجاعاً وأخرى جباناً ومرة شاطراً وأخرى قارتا أى جامداً ساكتا : كذا فى القاموس) .

ولكن ابن منظور الأفريقى ينقل فى (لسان العرب) عن القتيبى إنه ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال يدلك على ذلك قول الشاعر .

إن (الفتى) حمال كل ملمة   ليس الفتى بمنعم الشبان

وقال ابن هرمة :

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه   خلق وجيب قميصه مرقوع

ونقل عن ابن برى أن الفتى هو الكريم .

غير أن شارح (القاموس) يقول فى كتابه (تاج العروس) والفتوة الكرم والسخاء ، هذا لغة ؛ وفى عرف أهل التحقيق أن يؤثر الخلق على نفسه بالدنيا والآخرة . وصاحب الفتوة يقال له الفتى ومنه لا فتى إلا على وقول الشاعر .

فإنى (فتى الفتيان) من راح واغتدى   لضر عدو أو لنفع صديق

وعبر عنها فى الشريعة بمكارم الأخلاق . قال ولم يجيء لفظ الفتوة فى الكتاب والسنة وإنما جاء فى كلام السلف . وأقدم من تكلم فيها جعفر الصادق ثم الفضيل ثم الإمام أحمد وسهل والجنيد ، ولهم فى التعبير عنها ألفاظ مختلفة والمآل واحد . ويقال هو فتى بين الفتوة وقد تفتى وتفاتى نقله الجوهرى ، وفتوتهم أفتوهم غلبتهم فيها أى (الفتوة) . وبعد فها أنت تجد صاحب تاج العروس يعزو الفتوة إلى الإمام جعفر الصادق وقد كان فى صدر الدولة العباسية وإليه أيضاً ينسب علم الكيمياء . وقد وجدت فى (مجمع البحرين) للطريحى (والفتى أيضاً السخى الكريم وفى الحديث تذاكرنا عند الصادق أمر الفتوة فقال أتظنون أن الفتوة بالفسق والفجور ؟ إنما الفتوة والمروءة طعام موضوع ، ونائل مبذول ، إلى أن قال وأما تلك فشطارة الخ) والشطارة الخبث ، والشاطر هو الذى أعيا أهله خبثاً . وقد مدح الغزالى الفتوة فى إحياء العلوم وذكر بعض

المؤرخين أنه كان فى أسيا الصغرى جمعيات أخوية تتبع نظام الفتوة وتكرم الغرباء وتساعد الفقراء ولها زوايا وألبسة وتقاليد خاصة ، وإنها من تقاليد المسلمين القديمة النافعة التى أضعناها ؛ فلو أننا احتفظنا بها مع تحسينها لكانت لنا خيراً من الكشافة

وذكرت الفتوة فى (دائرة معارف الإسلام) وقالوا إن للفتوة مبادىء أخلاقية سامية منها تضحية النزعات الفردية فى سبيل الصالح العام .

وذكر أحد مؤرخى الحضارة الإسلامية أن الفتوة كانت فى العصر العباسى نظاماً له صبغة دينية . ومن صفات الفتيان الشجاعة والكرم ومساعدة الغير وللفتوة نظام خاص وألبسة خاصة ولباس الفتوة الخاص سراويل عليها صورة كأس ؛ فإذا أراد أحد الانخراط فى هذا السلك تقام له حفلة يشهدها إخوانه الفتيان ويلبس سراويل الفتوة ويشرب كأس الفتوة . وكانوا يرمون البندق وهو كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص أو غيرها ؛ وكانوا يرمون البندق عن الأقواس كما يرمون النبال . وكان رماة البندق فى العصر العباسى طائفة كبيرة يخرجون إلى ضواحى المدن ويتسابقون فى رميه على الطير ، ويعدون ذلك من الفتوة . وفى خلافة الناصر لدين الله العباسى المتوفى سنة ٦٢٧ ﻫ أقبل الناس على رمى البندق وتربية الحمام لأن الخليفة نفسه كان كبير فتيان زمانه ، ورغب فى هذين الفنين . وقد بلغ من رغبته فى ذلك أن جعل رمى البندق فناً لا يتعاطاه إلا الذين يشربون كأس الفتوة ويلبسون سراويلها على أن يكون بينهم روابط وثيقة على نحو ما عند بعض الجمعيات السرية . ثم تفننوا فى رمى البندق بالمزاريق أو الأنابيب بضغط الهواء من مؤخر الأنبوب بما يشبه أنابيب البنادق ، فلما اخترعوا البارود صاروا يرمون البندق به من تلك الأنابيب وسموا هذه الآلة بندقية نسبة إليه) .

ضياء الدخيلي

خواطر مسجوعة :

تمثال شاعر

[إلى الملهمين الذين اضطربت حياتهم . وتعثرت خطواتهم . إلى المغمورين الذين مسهم الضيم وهم أباة ، وسيموا الهوان وهم كرام] .

كأنى بالشاعر وقد عاش تسعين عاماً ، بين عيون تعامى ... فلم ينقذه من حياة الأموات ، سوى سهم الممات !

عاش سطراً فى دفتر العناء ، وسراً فى ضمير الفناء . ومات فلم يخسر شيئاً من الدنيا ، لأنه لم يكن قبل الموت حياً !!

عاش فأنكروه ، ولم يذكروه . ومات فتباكى الجاحد ، وتحازن الحاسد ... !

عاش يبحث عن الضالة المنشودة ، والرحمة المفقودة ، حتى ذوى يأساً ، وقضى بؤساً ... !

عاش هدفاً لإجحاف مر ، واعتساف مستمر ... ومات فهشوا لوفاته ، وبالغوا فى تكريم رفاته !

فقد الرحمة حياً ثم مات ، فطالبوا له غيثاً من الرحمات ! فهل كانت الرحمة للميت لزاماً ، وعلى الحى حراماً ؟ ! أم هو الفضل يذكر إن صاحبه ذهب ، والحقد يزول بزوال السبب . فمن لم يستطع التحديق فى الشمس كان للتعامى مؤثراً ، فإذا غربت انقلب مبصراً ، فأكبر الدفين فى الرمس ، وعرف له اليوم مالم يعرفه بالأمس . ورب متجاهل كان يجاهله جهلا ، ومتعام كان للعمى أهلا .

وكأنى بالشاعر وقد شيعوه إلى القبر ، ملتمسين لذويه الصبر ! وبعد تراب عليه أنهال ، أقيم له تمثال .

وإذا العيون قفلت ، والقلوب غفلت ، فإن التمثال لا يلفت ذوى عمى ، ولا يوقظ من ينظرون إليه نظر الأطفال إلى الدمى !

وإذا قضى الشاعر نحبه ، وفارق آله وصحبه ، فإن التمثال لا ينفع من ذهب ، وإن كان من ذهب !

فلعمرى إن لم يظفر الحى بأمنيته ، قبل منيته ، فإن الذكر والنسيان ، فى الموت يستويان !

ليتهم صانوا صاحب التمثال حياً ، فمن مات مذكوراً هو من عاش منسياً !!

حامد بدر

من تاريخ الطب الاسلامى

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غنى
سفير إيران بمصر

— ٧ —

٦ — البيمارستانات فى البلاد الاسلامية :

لقد أشرنا فى حديثنا السابق إلى مطالعات الأطباء المسلمين بجانب سرير المريض ، ولتوضيح الناحية العملية من الطب الإسلامى وأعمال الأطباء فى البيمارستانات وطريقة تمريض المرضى وعلاجهم وحالة دور الشفاء عندهم لا بد من أن نلق كلمة عن هذا الموضوع :

يأمر الدين الإسلامى مثل سائر الأديان السماوية بالرفق والشفقة ويدعو إلى البر بالفقراء والإحسان إليهم ومواساة المرضى والعجزة ؛ وقد كان تمريض المجروحين ومواساتهم والعناية بأمرهم من أهم الأمور التى كان يعيرها النبى صلى الله عليه وسلم اهتماماً خاصاً فى غزواته . فقد جاء فى سيرة ابن هشام أن سعد بن معاذ أصيب فى غزوة الخندق فى شوال من العام الخامس الهجرى بسهم فى الأكحل[١] فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يوضع فى خيمة رفيدة الأسلمية ، وكانت تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين قائلا : اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب . ويمكن اعتبار خيمة رفيدة هذه أول مستشفى حربى متنقل عند المسلمين .

وبعد ذلك ازداد عدد هذه المستشفيات المتنقلة التى كانت تسمى بالبيمارستانات المحمولة[٢] مقابل البيمارستانات الثابتة .

وهذه البيمارستانات المحمولة زيادة على استعمالها فى الحروب كانت تنقل من مكان إلى آخر، وكانت مجهزة بكل ما يلزم المرضى عادة من أدوات وأدوية وأطعمة وأشربة وملابس وأطباء وصيادلة وكل ما يعين على ترفيه المرضى والعجزة والزمنين والمسجونين وكانت تنقل من بلد إلى أخرى من البلدان الخالية من بيمارستانات ثابتة .

يقول ابن أبى أصيبعة نقلا من ثابت بن سنان :

إن الوزير على بن عيسى بن الجراح فى أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله وتدبير المملكة فى أيام وزارة حامد بن أبى العباس وقّع إلى والده سنان بن ثابت فى سنة كثرت فيها الأمراض جداً وكان سنان يتقلد البيمارستانات ببغداد وغيرها توقيعا جاء فيه : «فكرت مد الله فى عمرك فى أمر من فى الحبوس وأنهم لا يخلون مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم أن تنالهم الأمراض وهم معوقون عن التصرف فى منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء فى أمراضهم فينبغى أكرمك الله أن تفرد لهم أطباء يدخلون إليهم فى كل يوم ويحملون معهم الأدوية والأشربة وما يحتاجون إليه من المزورات (والمزورات هى حساء من الخضر دون لحم أو دسم أو البهريز فى اللغة الدارجة) وتتقدم إليهم بأن يدخلوا سائر الحبوس ويعالجوا من فيها من المرضى ويريحوا عللهم فيما يصفونه لهم إن شاء الله تعالى» ففعل سنان ذلك[١]

ثم وقع إليه توقيعاً آخر :

« فكرت فى من بالسواد من أهله وأنه لا يخلو من أن يكون فيه مرضى لا يشرف متطبب عليهم لخلو السواد من الأطباء ، فتقدم مد الله فى عمرك بإيفاد متطببين وخزانة من الأدوية والأشربة يطوفون السواد ويقيمون فى كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم ويعالجون من فيه ثم ينتقلون إلى غيره » .

فنفذ سنان هذا الأمر وانتهى أصحابه إلى (سورا) من بلاد العراق وكان معظم أهلها من اليهود فكتب سنان إلى الوزير يخبره أن بعض أصحابه كتب إليه من السواد يستأذنه فى المقام هناك لعلاجهم أو الانصراف عنهم إلى غيرهم وأنه لا يعلم بم يجيبهم لأنه لا يعرف رأيه فى أهل الذمة . وقد عرض عليه فى كتابه هذا أن الطريقة المتبعة فى بيمارستان الحضرة هى علاج الملى والذمى ؛ فوقع له الوزير توقيعاً أخبره فيه أن يقدم معالجة المسلمين على أهل الذمة ، فإذا فضل عن المسلمين ما لا يحتاجون إليه صرف فى الطبقة التى بعدهم — أى أهل الذمة — وقال : « فاعمل أكرمك الله

(١) الأكحل الوريد .

(٢) ويعبر عنها الآن بالفرنسية بكلمة Am bulance

(١) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الأول صفحة ٢٢١

على ذلك وا كتب إلى أصحابك به ووص بالتنقل فى القرى والمواضع التى فيها الأوباء الكثيرة والأمراض الفاشية »(١) .

وكانت عادة السلاطين فى دولة المماليك أنهم عند ما كانوا يخرجون إلى القصور التى كانوا قد بنوها خارج المدن للاقامة أياما فيها ، أن يصحبهم فى السفر غالباً حاشية من الأمراء والأعيان ومعهم كل ما تدعو إليه الحاجة حتى يكاد يكون معه بيمارستان كامل لكثرة من معه من الأطباء والكحالين والجراحين والفصادين والأشربة والعقاقير وغيرها .

وكان الأمراء المسلمون أيضاً يستعملون فى حروبهم البيمارستان المحمول وكان يحمله ويحمل الآلات والأدوات والأدوية والعقاقير اللازمة عدد من الجمال خصصت لذلك(٢) .

أما البيمارستانات الثابتة فهى ما كان بناؤها ثابتا فى مكان خاص ؛ وكان هذا النوع موجوداً فى معظم البلاد المهمة ولاسيما فى العواصم الكبرى وكان فى بعضها أكثر من بيمارستان واحد ولا تزال آثار بعضها باقية إلى الآن كالبيمارستان المنصورى أو (قلاوون) والبيمارستان المؤيدى بالقاهرى والبيمارستان النورى بدمشق وغيرها .

وكانت هذه البيمارستانات بوجه عام منقسمة إلى قسمين منفصلين قسم للذكور وآخر للاناث ، وكل قسم مجهز بما يحتاجه من آلات وعدد وخدم من الرجال والنساء(٣) وفى كل قسم منهما قاعات مختلفة فقاعة للامراض الباطنية وأخرى للجراحة وثالثة للكحالة ورابعة للتجبير ، إلى غير ذلك من القاعات .

وكانت هذه الأقسام الخاصة مقسمة بدورها إلى شعب وأقسام فرعية مثل الفرع الخاص بالمحمومين والفرع الخاص بالممرورين أى المجانين ، والفرع الخاص بالمصابين بالأمراض البادية والأسهال وغير ذلك . وكانت البيمارستانات تقام فى أماكن حسنة الموقع طيبة المناخ .

يروى بعض المؤرخين فى ترجمة حياة محمد بن زكريا الرازى أنه عند ما طلب إليه أن يختار محلا مناسباً لبناء بيمارستان فى بغداد أمر أن يعلقوا قطعا من اللحم الغريض فى أماكن مختلفة من المدينة ثم اختار المحل الذى كان تعفن اللحم فيه متأخراً عنه فى سائر الأماكن لبناء المستشفى المطلوب .

وكان من شروط انتخاب المحل المناسب لبناء البيمارستان أن يكون فيه ماء جار .

وكان لكل بيمارستان شرابخاناه أى صيدلية (والكلمة محرفة عن شرابخانة الفارسية ومعناه خزانة الشراب) ولكل شرابخاناه (مهتار) أى رئيس (وهذه الكلمة أيضاً محرفة عن مهتر الفارسية بمعنى الرئيس أو الكبير) وتحت يده غلمان عنده برسم الخدمة يطلق على كل واحد منهم (شراب دار)(١) .

ومما يسترعى النظر كثرة الأسامى والمصطلحات الطبية الفارسية التى كانت شائعة فى اللغة العربية ويدل ذلك على نفوذ الأطباء الايرانيين وأثر مدرسة جند يسابور منذ عهد الساسانيين، حتى أن العرب استعملوا نفس هذه المصطلحات واللغات الفارسية عيناً أو بتحريف يسيط فى كتاباتهم ومحاوراتهم ؛ فكلمة (بيمارستان) أو مخففها (مارستان) شائعة ومتداولة فى اللغة العربية أكثر من كلمتى المستشفى أو دار الشفاء .

وكانت كلمة (بيمارستان) تطلق فى بادىء الأمر على المستشفيات التى تعالج فيها الأمراض بصورة عامة ؛ أما بعد ذلك لما أصابتها الكوارث وحل بها البوار وهجرها المرضى أقفرت إلا من المجانين حيث لا مكان لهم سواها فصارت كلمة (مارستان) وهى تحريف بيمارستان لا تنصرف إلا إلى مستشفى المجاذيب .

وكان لكل بيمارستان ناظر يشرف على إدارته ، وكان النظر عليه يعد من الوظائف الديوانية المعظيمة ، وكان تحت إدارته عدد من أرباب الوظائف فى البيمارستان وهم :

١ — رئيس الأطباء وهو الذى يحكم على طائفة الأطباء ويأذن لهم فى التطبيب ونحو ذلك .

٢ — رئيس الكحالين وحكمه فى الكلام على طائفة الكحالة حكم رئيس الأطباء فى طائفة الأطباء : — رئيس الجرائحية(٢) .

(١) بتلخيص من طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة
(٢) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الأول صفحة ٣١٠
(٣) طبقات الأطباء الجزء الأول

(١) صبح الأعشى للقلقشندى الجزء الرابع صفحة ١٠
(٢) صبح الأعشى للقلقشندى الجزء الثانى صفحة ١٦٨ والجزء ١١ الصفحة ١١٧ وصفحة ٢٦٨

وكان لـكل طبيب حسب درجته ومقامه مرتب خاص وله زيادة على المرتب جامكية وصلات وعلوفة لدابته من الخلفاء والملوك والأمراء .

يقول القفطي وابن أبى أصيبعة أن معدل المرتبات الشهرية للأطباء كان كالآتى :

١ — أطباء الخاص (أى المنقطعون للخليفة أو السلطان) وكان عددهم اثنين لـكل منهما فى الشهر خمسون ديناراً (وكل دينار حوالى خمسة عشر فرنكا فرنسياً ذهباً (١) أى ستين قرشاً مصرياً تقريباً) .

٢ — أطباء الدرجة الثانية وهم ثلاثة أو أربعة ، وكان بعضهم يقيم بالقصر ولـكل منهم عشرة دنانير ؛ وكان بعضهم طبيباً بالبيمارستان أيضاً فكان له رزقان أى ثلاثون ديناراً فى كل شهر مثل رضى الدين الرحبي طبيب صلاح الدين الأيوبى ، فقد أطلق له صلاح الدين ثلاثين ديناراً فى الشهر ويكون ملازماً للقلعة والبيمارستان ؛ وكان للبعض الآخر مثل جبرائيل الـكحال ألف درهم كل شهر (والدرهم نصف فرنك فرنسى ذهب أو قرشان مصريان) .

يقول المقريزى إن أول من بنى البيمارستان فى الاسلام ودار المرضى هو الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموى سـنة ٨٨ هجرية وجعل فيها الأطباء وأجرى لهم الأرزاق وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الارزاق .

وكان فى البيمارستان طريقان للعلاج . علاج خارجى أى أن المريض يتناول الدواء من البيمارستان ثم ينصرف ليتعاطاه فى منزله ، وعلاج داخلى يقيم المريض فى أثنائه فى البيمارستان فى القسم والقاعة الخاصة بمرضه حتى يشفى (٢) .

فنى الطريقة الأولى كان الطبيب يجلس فى محل خاص ويعاين المرضى ويعطيهم العلاج اللازم ؛ وبما أن هذه المعاينة وهذا العلاج كانا يتمان فى البيمارستان غالباً فقد كان يجتمع التلاميذ بحضرة أستاذهم يعاينون معه المريض ويعرفون كيفية استدلاله على المرض من أعراضه وعلامته ، وجملة ما يصفه له ، والعلاج الذى يعالجه به ، ومقدار الأدوية والعقاقير التى يوصى بها وطريقة استعمالها .

(١) الخطط التوفيقية لعلى مبارك باشا الجزء الرابع صفحة ٤٦
(٢) تاريخ البيمارستان فى الاسلام للدكتور أحمد عيسى بك صفحة ٣١

يروى ابن النديم وكان معاصرا لمحمد بن زكريا الرازى نقلا عن شيخ من أهل الرى (أن الرازى وكان شيخاً كبيراً كان يجلس فى مجلسه ودونه تلاميذه ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ أخر وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من تلقاه فان كان عندهم علم والانمداهم إلى غيرهم ، فإن — أصابوا وإلا تـكلم الرازى فى ذلك (١) .

إن هذه الطريقة تشبه إلى حـد كبير الطريقة المتبعة الآن أو التى يجب أن تتبع فى حالة مداولة الأطباء عن فحص المريض consultation فإن الأطباء بعـد أن يعاينوا المريض يجتمعون للمداولة فى غرفة خاصة ويبدأ الحاضرون بابداء آرائهم فى حالة المريض متدرجين من أصغرهم سناً إلى أكبرهم؛ وذلك لأن الأطباء الـكبار والمشهورين إن أبدوا رأيهم فى ذلك ربما خجل الطبيب الأصغر منهم بحكم سنه وإجلاله للطبيب الأكبر منه سناً ومقاماً من إبداء رأى يخالف ذلك ، وقد يكون أحياناً أحسن من رأى غيره وأقرب إلى الصواب .

والخلاصة أن دراسة الأطباء لحـالة المريض بجانب سريره ومطالعاتهم فى البيمارستانات وأخذهم دروساً عملية كانت تمد فى تلك العهود — وكانت العلوم فيها على الأغلب الأعم نظرية ذات أهمية خاصة بالنظر لأهمية الطب والتبعة التى تقع على عاتق المشتغل به والمهارة التى تستلزمها هذه المهنة .

وإن شطراً هاماً من كتاب الحاوى للرازى مخصص لهذه الدروس الطبية (الأكلينيكية) . ومنه فصل بعنوان (أمثلة من قصص المرضى) ، يذكر فيه الحالات النادرة التى تردد فيها فى تشخيص المرضى ، وفى كل حالة يذكر اسم المريض وأعراض المرض وطريقة العلاج ونتيجتها .

ويذكر الأستاذ بروان فى كتابه الطب الإسلامى(Arabian Medicine) حالة من هذه الحالات مع ذكر النص العربى وهو كما يأتى :

(كان يأتى عبد الله بن سوادة حميات مخلطة تنوب مرة فى ستة أيام ، ومرة غب ، ومرة ربع ، ومرة كل يوم ويتقدمها نافض يسير ، وكان يبول مرات كثيرة ، وحكمت أنه لا يخلو أن تكون هـذه الحيات تريد أن تنقلب ربعاً ، وإما أن يكون به خراج فى

(١) الفهرست طبعة مصر صفحة ٤١٥ وطبعة ليبزيك صفحة ٢٩٩

أساتذة الجيل :

٢ - أحمد تيمور باشا

ندوته فى درب سعادة

للأســـتاذ محمد فهمى عبد اللطيف

« إلى الصديق الكريم ، والباحث المحقق ، الدكتور محمد سامى الدهان ، وفاء بما وعدته من الإفاضة فى الحديث عن أولئك الأساتذة الأماثل الذين مهدوا الطريق أمام هذا الجيل ... »

كانت منازل الكبراء والعظماء وأهل البيوتات لعهد أدركناه ، منازل لأهل الفضل من العلماء والأدباء والشعراء ، ومجامع للفحول فى كل علم وفن ، يلتقون فيها كل ليلة أو كل أسبوع ، فيتباحثون ويتجادلون ، ويسمرون ، ويضحكون ، ويذهبون فى فنون القول مذاهب ، فما شئت من حقيقة علمية خافية ، أو طرفة أدبية رائعة ، أو فكاهة حلوة تروى وتحفظ .

وكان الكبراء والعظماء وأهل البيوتات لعهد أدركناه ، يرون تقريب العلماء والأدباء حليـة ومظهراً من مظاهر المثالة والعراقة ، فكانوا يفسحون لهم فى جانبهم وفى منازلهم ، ويبذلون لهم من جاههم ومالهم ما وسعتهم القدرة على ذلك ، فكانت هذه المجالس هى مجالى التفكير العلمى والأدبى والتدبير السياسى والاجتماعى وليس من شك فى أن هذه المجالس قد أثرت فى حياتنا الفكرية أكثر مما أثرت « الصالونات الأدبية » فى الأدب الفرنسى فى القرن التاسع عشر ، ولكنها من الأسف لم نجد المؤرخ الذى يدون أخبارها ، ويذكر آثارها . .

كانت فى دار الأميرة نازلى هانم فاضـل ندوة ، وفى دار آل البكرى ندوة ، وفى دار سليمان أباظه باشا ندوة ، وفى دار الإمام محمد عبده بعين شمس ندوة ، وفى دار آل عبد الرازق ندوة ، وفى دار آل القاياتى ندوة ، ولا تزال منها بقية باقية ... وكان من أحفل هـذه الندوات وأعمرها ندوة أحمد تيمور فى درب سعادة حيث كانت دار آل تيمور الفسيحة الجنبات المفتحة الأبواب ...

ولقد رأيت فيما قدمنا لك أن والد أحمد تيمور باشا قد عكف فى آخر حياته على جمع الكتب ومجالسة أهل العلم والأدب فى داره ، فلما شب الابن جرى على سنة أبيه فى هذا ، وكانت له به قدوة ، ففتح داره لشيوخ العصر وأعلام اللغة والأدب وكل من يمت إلى هذا بسبب ، فكان يجتمع فى هذه الدار الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والشيخ محمد بن محمود الشنقيطى والشيخ حسن الطويل والشيخ أحمد أبو خطوة والشيخ طاهر الجزائرلى والسيد محمد البيلاوى والشيخ محمد شاكر والشيخ حسن منصور والشيخ أحمد مفتاح ويحيى أفندى الأفغانى ومحمد أفندى أكل والشيخ أحمد أبو الفرج الدمنهورى ، والشيخ عبد الرحمن الكواكبى والسيد عبد المحسن الكاظمى ورفيق بك العظم ، والسيد محمد رشيد رضـا ، ثم كان بعد هؤلاء رعيل آخر من أعلام الأدب واللغة ورجال القلم والصحافة والمستشرقين الذين كانوا يتوافدون على مصر للدراسة والتحقيق العلمى والبحث عن المخطوطات النادرة ، فكانت ندوة أشبه بجامعة علمية تمت لها كل فروع المعرفة ووسائل الدراسة العلمية والأدبية وامتازت بالتخلص من قيود النظم والقوانين . . .

فى كلاه ، فلم يلبث إلا مديدة أعلمته أنه لا يعاود هذه الحميات ، وكان كذلك ، وإنما صدنى فى أول الأمر عن أن أبت القول بأن به خراجاً فى كلاه أنه يحم قبل ذلك حمى غب وحميات أخر فكان للظن بأن تلك الحمى المختلطة من احتراقات تريد أن تصير ربعاً موضعاً أقوى . ولم يشك إلى أن قطنه شبه ثقل معلق منه إذا قام وأغفلت أنا أيضاً أن أسأله عنه ، وقد كان كثرة البول يقوى ظنى بالخراج فى الكلى ، إلا أنى كنت لا أعلم أن أباه أيضاً ضعيف المثانة يعتريه هذا الداء ، وهو أيضاً قد كان يعتريه فى صحته فينبغى ألا يغفل بعد ذلك غاية التقصى إن شاء الله ، ولما بال المدة أكببت عليه بما يدر البول ، حتى صفا البول من المدة ثم سقيته بعد ذلك الطين المختوم والكندر ودم الأخوين وتخلص من علتـه وبرأ برءاً تاماً سريعاً فى نحو من شهرين . وكان الخراج صغيراً ودلنى على ذلك أنه لم يشـك إلى ابتداء ثقلا فى قطنه ، ولكن بعد أن بال مدة قلت له هل كنت تجد ذلك ؟ قال نعم ، فلو كان كثيراً لقد كان يشكو ذلك ، وأن المدة تنبث سريعاً تدل على صغر الخراج . فأما غيرى من الأطباء فإنهم كانوا بعد أن بال مدة أيضاً لا يعلمون حالته البتة » .

(البقية فى العدد القادم)

في هذه الندوة تخرج أحمد تيمور ، ودرس وحصل وأفاد ، واستطاع أن يقرأ جميع ما جمع من أمهات الكتب ونوادر المخطوطات وأن يعلق عليها التعليقات المفيدة ، فبعد أن كان يجلس في هذه الندوة مجلس التلميذ المستفيد أصبح يجلس مجلس الأستاذ المفيد ، وأصبح أهل العلم يتوافدون عليه للأخذ عنه والإفادة منه ويرجعون إليه فيما يريدون من تحقيق أدبي أو تعليق لغوي .

لم يدون أحد ما كان يجرى في هذه الندوة من المطارحات والمناقشات ، ولو جمع هذا لتحصل منه علم كثير وأدب كبير ، ولكنا نجد تيمور باشا يشير إلى ذلك إشارات عابرة مقتضبة فيما كتبه في تراجم أعيان القرن الثالث عشر الهجري ، فيقول في ترجمة الشيخ أحمد مفتاح : « ولما انتقل إلى مدارس الأقاليم صار يحضر إلى القاهرة في فترات فينزل عندنا ، ويجتمع به إخوانه وأصدقاؤه في ليال كنا نحييها بالمطارحات الأدبية وإنشاد الأشعار » .

ويقول في ترجمة أستاذه الشيخ حسن الطويل : « ومن غريب المصادفات أنه زارني قبل وفاته بيومين في ليلة مقمرة ، فجلسنا في صحن الدار نلعب الشطرنج ، وكان مولعاً به مع قلة إجادته فيه ، فقال لي عندما أراد الذهاب : نحن الآن في الامتحان وقد قربت الأجازة ، وصدري ضيق في هذه الأيام من الناس ، ونفسي تجنح للعزلة ، فهل تعرف لي مكاناً أقضي فيه بعض أيام بعيداً عنهم ؟ فقلت : يا سيدي . إذا انتهى الامتحان فالأوفق أن نسافر معاً إلى ضيعتنا التي بقويسنا فنخلو فيها بكتاب نقرؤه ، فقال : نعم الرأي هذا ، وسأستصحب معي ولدي حسناً ليشترك معنا في القراءة . ثم لم يمض يومان حتى نقله الله إلى جواره ، ويسر له العزلة ولكن في دار قراره » .

ويظهر أن ندوة تيمور لم تكن لها ليلة معينة في الأسبوع ، بل كانت مفتحة الأبواب دائماً ، وكان إخوانه يجتمعون به كل ليلة وكل وقت يروق لهم ، فهو يحكي عن نفسه أن أستاذه الشنقيطي أشار عليه بقراءة أمالي أبي على القالي قراءة إمعان وتدبر ، فاعتزل الناس ثلاثة أيام لهذا الغرض ، فلم ترق هذه العزلة صديقه محمد أفندي أكمل فعاد إليه بعد الأيام الثلاثة ومعه زجل ينحى فيه على الشنقيطي وعلى أبي على القالي اللذين تسببا في انقطاعه عن الإخوان وفيه يقول :

يا سيد احمد يا تيمور   يا للي منعنا من أنسك
هو ودادك من بنور   حتى كسرته من نفسك
أهديك سلام يشحن وابور   يقطع محطات على حسك
هو الكتاب ده م الجنة   ولا كلام المجريطي
أبو على كان لك محنة   الله يجازى الشنقيطي

***

بكره يجينا الشيخ مفتاح   يحلى السهر في القهاوي
نفضل ندردش للأصباح   والشيخ بروحه موش داري
عبيط خفيف عالم فلاح   بجوز شوارب هواري
أوقات كده يبقى زنه   وأوقات نشوفه رهريطي
أبو على كان لك محنة   الله يجازى الشنقيطي

وهو زجل طويل ، وكله على هذا النحو من الطرافة والدعابة ، وقد أورده جميعه تيمور باشا في كتابه أعيان القرن الثالث عشر .

ويحكي تيمور باشا في ترجمة محمد أفندي أكمل أيضاً فيقول : « وأطلعته على رسالة عندي جمعها الشيخ أحمد الفحماوي وذكر بها كنى وألقاباً وضعها افضلاء أواخر القرن الثالث عشر على سبيل المزاح والدعابة ، فلقب كل واحد بلقب شاعر متقدم أو رجل مشهور يوافق اسمه هيئة الملقب به أو شيئاً يغلب على أخلاقه وأحواله ، فلما اطلع المترجم عليها جن بها جنوناً وشرع في وضع رسالة تماثلها في فضلاء عصره ، وسألني مشاركته فيها فامتنعت خشية اللوم فانفرد هو بتأليفها وأتى فيها بغرائب ، فمن ذلك تلقيبه للعالم الفاضل على رفاعة بابن المقفع لنحافته ودخول شدقيه ، وتلقيبه للعالم الفاضل يحيى افندي الأفغاني بالقدوري لغرابة شكله وقصر ساقيه تشبيهاً له بالقدر من الفخار ، والقدوري اسم عالم مشهور من الحنفية ، ولقب نفسه بابن قتيبة ، ثم تركه وتلقب بالمقوقس ، ولما لقب صاحبنا وصاحبه الشيخ أحمد مفتاح لسلامة طويته بالأبله البغدادي غضب منه ، وكاد يتفاقم الشر بينهما ، وغضب منه صاحب آخر وكان قصيراً ممتلئاً يتدحدح في مشيته كما يتدحدح البط لأنه لقبه بابن بطوطة » .

وهكذا كانت ندوة تيمور باشا مجالا للمداعبات الأدبية والفكاهات الطريفة بين الأصدقاء والإخوان كما كانت مجال علم وأدب ، ودراسة وتحقيق .

« له بقية »

محمد فهمي عبد اللطيف

النزاع بين الروحانيين والماديين

للدكتور فضل أبو بكر

أثارت ظاهرات الطبيعة فضول الإنسان الأول وراعته عوادبها فأطلق لخياله العنان ومن بعد ثم شرع يشحذ من قريحته البدائية وتفكيره الساذج يحاول تعليلا لتلك الظاهرات والوصول إلى حل بعض طلاسم الوجود .

ينشد حلا يروى عطاش نفسه الظمأى ووجدانه الحائر ، ويرضى في الوقت نفسه ولحد ما كبرياءه كحيوان بلغ درجة من التطور العقلى والجسمى ما جعله يلقب بسيد المخلوقات ، وهو لقب ناله بجدارة واستحقاق .

غير أن سيد المخلوقات قد عاش فى ظلمات من الجهل ، وأسدلت بينه وبين نور المعرفة حجب كثيفة حالكة ، ولم يبد أمام ناظره بصيص من نور أو وامض من برق إلا متأخراً جداً بالنسبة لبدأ خلقه كانسان — ولا أقول ككائن حى — كما يحدد ذلك على وجه التقريب علم « الأنثروبولوجيا » وكما تدعم ذلك متحجرات « الجيولوجيا » وحفائر « الأركيولوجيا »

كان لعهد ليس بالبعيد يعتقد فى سطحية الأرض ويظنها بساطاً ممتداً إلى ما لا نهاية له بساطاً لا حراك فيه ؛ وكان جهله بالسماء وشمسها وكوكبها أشد من جهله بالأرض التى يعيش فوق أديمها وذلك إلى أوائل القرن السابع عشر ، حتى جاء « جاليلى » « ونيوتن » و« لا بلاس » فيما بين منتصف القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر ، فأثبتوا كروية الأرض ودورانها حول الشمس وقانون الجاذبية ، ونهضوا بعلم الفلك ووضعوا له أسساً وقواعد علمية متينة ، كما أسس العالم الفرنسى « لافوازييه » قواعد الكيمياء بعد ما فند آراء القدماء فيما يتعلق بالاحتراق « والتأكسد » خاصة . كما ظهر غيرهم من العلماء ، وكان عصرهم هو عصر النهضة العلمية خطا فيه العلم خطوات المارد فى جميع فروعه . لقى الكثير منهم عنتاً واضطهاداً بل وتعذيباً من رجال الدين ورؤساء الكنائس ، وذلك لجمود أهله فى ذلك الحين وسطحية تفكيرهم وضيق أفقهم ؛ كذلك كان العلم والمعرفة فى ذلك الحين موقوفين على أهل الدين فاشتد الخلاف ودب الحقد فى نفس العلماء كما خرج بعضهم على الكنيسة والدين ، وأكبر مثل لأولئك الخوارج المرتدين كان العالم الرياضى الفلكى « لابلاس » الذى تشرف بالمثول بين يدى جلالة الأمبراطور نابليون الأول لأبحاثه القيمة فى علم الفلك ومؤلفه « الميكانيكا السماوية La Mécanique Celeste فهنأه الأمبراطور على اجتهاده وقال له مندهشاً مستفسراً « أراك لم تذكر شيئاً عن الخالق ولم تمجده فى جليل صنعه !! » فأجابه لابلاس على الفور « ما كنت يا مولاى فى حاجة إلى مثل هذا الفرض » Sire, je n, ai jamais eu bésoin de cetfe hypothese

من هنا يتبين لنا الفرق الشاسع بين المسيحية فى ذلك الوقت وبين الإسلام فيما يتعلق بتسامحه وسعة صدره إزاء العلماء والفلاسفة الذين لم يلاقوا من رجال الدين تعنتاً ولا اضطهاداً إلا القليل بل كانوا على العكس محل احترام وإعجاب الكثيرين كما رعاهم الملوك والأمراء ورغماً عما أدعاه كذباً وتمويهاً للحق بعض المؤرخين الغربيين بأن العرب عند ما دخلوا الاسكندرية فى القرن السابع حرقوا كنوز العلم والفلسفة والفنون من مخلفات الأغريق التى كانت تعج بها مكتبتها الفريدة وتكتظ بها فى ذلك الحين ؛ غير أن بعض المنصفين من مؤرخيهم نفوا تلك التهمة ورأوا العرب من جناية لم يرتكبوها ، وأثبتوا بأن الرومان وحدهم لما دخلوا الإسكندرية فى القرن الأول قبل الميلاد هم الذين بددوا تلك الكنوز وعبثوا بنفائسها .

ذكرنا فيما تقدم بأن عهد النهضة العلمية كان حقاً العصر الذهبى خطت فيه العلوم والمعارف الإنسانية خطوات واسعة كما تحرر فيه العقل البشرى — لحد كبير — من ربقة القيود التى كبلته حيناً من الدهر .

تقدم علم الكيمياء والطبيعة والرياضيات والفلك منذ ذلك الحين ، ومازالت فى تقدم مطرد — تقدماً غير وجه الأرض وما عليها وكانت نتيجة ذلك حضارتنا الراهنة التى هى وليدة تطبيق تلك العلوم .

وقد نهض الإنسان بعلمى الطبيعة والكيمياء إلى درجة مكنته من تحطيم الذرة واستخدام القوة الهائلة الناتجة عن ذلك .

قوة — كما يقول علماؤها — إذا سخرت في الصناعة أغنته عن الفحم والبترول وغير ذلك من المواد الخام اللازمة لتوليد القوة وأعطته من الإنتاج أضعافاً مضاعفة لما تأتي به تلك المواد، كما أنها إذا استخدمت أداة للحرب والشر عصفت بالعالم ومن عليه وما عليه وجعلته قاعاً صفصفاً وعليقاً ما كولا .

غير أن علم الحياة لم يخط كما خطت تلك العلوم وذلك لتعقيده ووعورة مسلكه شأن كل ما يتعلق بالحياة، فهو لغز الوجود وسر الخالق ! فالإنسان المكتشف المخترع لآلات وأجهزة بلغت من الدقة والإتقان شأواً بعيداً ، هذا الإنسان عينه تراه في الوقت نفسه عاجزاً تمام العجز عن خلق أدنى المخلوقات الحية ! ! خلق كائن مركب من خلية واحدة مثل «الأميبا» أو «البكتريا» مع أنه يعرف « تحليلا » وبدقة تامة المواد والعناصر التي تتركب منها ولكنه يعجز « تمثيلا » عن أن يهبها الحياة ! !

فلغز الحياة وجهل الإنسان بنفسه ككائن حي حير الفلاسفة من عهد سقراط إلى يومنا هذا، وهو ما حدا بسقراط أن يكثر من القول « اعرف نفسك » وهو بيت القصيدة من فلسفته والمحور الذي تدور حوله رحاها . وهو هو الذي أعيا الخيام وجعله يهرب من ميدان الجدل، ويحتمي بالطاس والكاس يغرق فيهما همومه وحيرته ، ويستوحيهما لمعرفة السر الرهيب ! وهو ما أقلق راحة المعري حيرة وشكا كان إزاءهما في كروفر ؛ فانظر إليه حين يقول :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

ومنها أيضاً :

حار أمر الإله واختلف النا س فداع إلى ضلال وهاد

يقول هذا وربما يطمئن إلى ما يقول حيناً فيماوده الشك وتنتابه الحيرة أحياناً فيناقض نفسه بنفسه كما يذكر ذلك في شعره وتأملاته ، ومن هنا كانت بليته وعذاب نفسه .

وقد روى عنه أنه كان « نباتياً » يعف عن اللحوم ويرى في أكلها قسوة من الإنسان على الحيوان ؛ وربما كان سبب ذلك عقدة نفسية ومركب نقص مصدره إكبار الحياة في شخص الأحياء !! الحياة التي هزمته لغزها وأعياه سرها : فالإنسان يُكبر — من حيث لا يشعر ولا يريد — ما يدق عنه وما يجهله والمجهول ما هو إلا خصم عنيد تغلب عليك وهزمك تكبره وإن كنت في الوقت نفسه تشعر نحوه بشيء من العداء ! !

وقف العلم وأسرار الطبيعة في حيرة من أمرها بسبب الجدل الدائم المحتدم بين الماديين المسمين أنفسهم بالواقعيين ، وبين الروحانيين ، وذلك من عهد سقراط إلى يومنا هذا .

وقد كان أكبر حجة للروحانيين المثاليين عند الأغريق هو « أفلاطون » بلا شك . وكان يمجد الروح والعقل بقدر ما كان يحتقر المادة ويحط من قيمتها . كان يؤمن بخلود الروح ويعتقد بأن الجسد ما هو إلا سجن وقيود وأصفاد تكبلها . والروح — كما يعتقدها — أزلية لا بداية لها ولا نهاية ، وقد عاشت قبل أن تحل بالجسم كما ستبقى وتخلد بعد فنائه ، وأن جوهر الأشياء وحقيقتها لا يعرف عن طريق الحس والمشاهدة ، وإنما الوصول إلى الحقيقة يأتي عن طريق هبة علوية روحانية يمكن تنميتها وترويضها عن طريق الجدل المنطقي والتأمل العميق ، وهو ما يميز الفيلسوف — الذي هو لا غيره — القادر المقتدر على حكم الدولة حسب قوانين مثالية توحى بها العدالة ويمليها المنطق السليم .

يشارك أفلاطون في آرائه تلميذه وخليفته من بعده « أرسطو » الذي يحج في تدعيم آراء أستاذه بحجج قوية عن طريق المشاهدة والتجارب ، ومن هنا كان أقل مثالية من أفلاطون وأقرب منه إلى الواقعية والمادية ، كما امتاز أرسطو بآرائه في مسألة التطور التي أولاها الكبير من عنايته . أما عن كبار الماديين عند الأغريق فنذكر أهمهم وكبيرهم « ديموقريط » الذي كان يعتقد بأن المادة تتكون من ذرات متناهية في الصغر وهي في حركة دائمة سرمدية ، وأن تلك الذرات غير قابلة للتجزئة أو التحطيم ، وكان يعتقد في مادية الروح وتركيبها من ذرات مشابهة لذرات المادة ، كما أن حقيقة الأشياء لا تعرف إلا عن طريق الحس والمشاهدة .

ولما كان يعتقد في مادية الروح فقد نفى عنها الخلود وهاجم آراء أفلاطون مهاجمة قوية فيما يتعلق بأزلية الروح .

ظلت الحرب سجالاً بين الفريقين إلى أن ظهرت الديانة العبرية بأحبارها ، ومن بعد ذلك المسيحية بقسيسها ، وشن رجال الدين من الطائفتين حرباً ضد الماديين ، يستنكرون فلسفتهم

ويحرمون تعاليمهم ، فأفل نجم الماديين إلى منتصف القرن السابع عشر حيث بدأت النهضة العلمية فعادت المادية إلى الميدان من جديد

وأهم الفلاسفة الماديين في ذلك العهد هو بلا شك «اسبينوزا» الذي كان من أصل يهودي برتغالي ، ولجأت عائلته إلى هولندا حيث ولد وعاش فيها .

تأثر « اسبينوزا » لحد كبير بفلسفة « ديكاردت » وألف كتاباً شرح فيه آراءه في الفلسفة « والتافزيقيا » وقد ثار عليه رهبان اليهود وطردوه من حظيرة دينهم على أثر مؤلفه « الدين والسياسة » .

وفلسفة « اسبينوزا » المادية فيها كثير من الغموض ، بل والتناقض في بعض الأحيان وهاك ملخصها :

المادة — في اعتقاده — شيء قائم بنفسه له خصائص ومميزات بواسطتها نصل إلى معرفة المادة . أما المادة كـكائن — حي أو غير حي — فهذا ما نجهله وهو سر المادة نفسها ، ويقصد بذلك المادة الكبرى أي الإله .

الإله — هو المادة نفسها والكائن اللانهائي ، ولكنه ليس بخالق الكون ، وما نسميه بالمخلوقات ما هي في الواقع إلا أنواع مختلفة ومحدودة لمادة لا حد لها ولا نهاية هي مادة الله

أما الروح فهي في نظره جزء من الجسم وفي وحدة معه ، وهي الجزء العاقل الحساس ، ورغماً عن هذه الوحدة فالروح لا تؤثر على الجسم تأثيراً مباشراً كما أن الجسم لا يكون له مثل هذا التأثير المباشر على الروح ، وإنما هناك تحدث تغييرات وانفعالات في الجسم يقابلها ما يشابه ذلك في الروح في نظام وتناسق تام .

ومن أكبر الروحانيين التاليين في منتصف القرن التاسع عشر ، نذكر الفيلسوف « أوجست كت » مؤسس الفلسفة الإيجابية « Positivisme » وهي خليط من الدين والفلسفة والسياسة والاجتماع .

يرى « كت » أن الثقافة الفكرية يجب أن تكون مؤسسة على دعائم قوية من الدين والتافزيقيا والفلسفة الإيجابية ، كما أنه يرى من الأجدى لعلماء الطبيعة أن يكتفوا فقط بوضع قوانين لعلومها ويصنفوا ما يشاهدونه من ظاهراتها وما بين ذلك من تشابه وتنافر بدلا من التعمق في معرفة الأسباب والقوى الخفية المؤدية لذلك والتي تدق عن إدراكهم في معظم الأحيان ؛ لأن مثل هذا العمق فضلا عن عقمه — يوقع في الحيرة والشك — وهما يفضيان إلى المادية والسلبية .

والخلاصة كما يقول كت هي أن العقل البشري مهما سما واتسعت مداركه لا يمكنه أن يصل إلى معرفة الكثير من الأسرار والقوى الخفية في هذا الكون ؛ ولا يقصد بذلك أن هذا العجز يجب أن يشل من تفكيره ويوقعه في اليأس والاستسلام بل على الإنسان أن يكثر من التأمل ويجد في التفكير وألا يكون أخفاقه — كما هو الحال مع بعض الفلاسفة والعلماء — سبباً لتبرمه بالخالق ونكرانه له . ولنتأمل في قول الخالق نفسه : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » وكما يقول الفيلسوف الإنجليزي « هربرت اسبنسر » : « من درس الطبيعة دراسة مستعجلة سطحية أغوته وقادته إلى الشيطان ، ومن درسها بتعمق وروية سمت به وأوصلته إلى الخالق » .

فضل أبو بكر

(باريس) بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

---

٩ — من ذكرياتي في بلاد النوبة:

بين عنيبـــة والدر

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

يطلق اسم عنيبة الآن على غير مسماه لأنه يطلق على المكان الجديد الذي أنشأته الحكومة المصرية بعد التعلية الثانية لسد أسوان، والذي يضم المدرسة الابتدائية وثانويتها، والمركز بما فيه مكاتب الصحة والتموين، والمحكمة الشرعية والوطنية، والبريد، والتلغراف والتليفون والمستشفى، واستراحة الري. الخ هذه المرافق العامة التي لابد من وجودها في كل مركز كبير، يكاد يكون صورة مصغرة من مدينة كبيرة..

والواقع أن المكان الذي يشمل كل أولئك ليس هو عنيبة، بل (مستعمرة عنيبة) ولعل البعيدين عن المحيط الذي نعيش فيه، يهزون أكتافهم، ويزمون شفاههم، في دهشة وعجب، غير شاعرين بكبير فرق بين التسميتين، ولكنهم لو كانوا بيننا حيث نحيا ونعيش لأدركوا سر هذه التفرقة وقيمتها في نظر النوبيين، إذ أن عنيبة، عبارة عن بلدة تمتد على شاطىء النيل حوالي ثمانية أميال تقريباً، مكونة من نجوع تكاد تكون متصلة متلاصقة، وبيوت كل نجع عبارة عن أكواخ صغيرة، مبنية من اللبن أو الحجارة أحياناً، ولكنها تحمل آثار الفقر والفاقة.. وبين المستعمرة الحكومية التي تضم الموظفين — دواوينهم ومنازلهم — وبين أقرب نجع من نجوع عنيبة الأصلية ميلان على الأقل!!

فإذا تحدثنا عن عنيبة فلا نعني البلدة الأصلية الريفية.. التي لا يكاد يقطن بها موظف واحد، وإنما نعني مستعمرة عنيبة التي قامت مقام الدر، المركز السابق، والتي تضم موظفي المركز بأسره، اللهم إلا رجال البريد، والتعليم الأولي والإلزامي فهؤلاء متفرقون في مختلف بلاد النوبة على شاطىء النيل، وكذا موظفو المدرستين الجديدتين الابتدائيتين في الدكة، وقورته..

وإن شئت فقل إن هذه المستعمرة الجميلة التي تفيض حركة ونشاطاً، والتي تعتبر عروس بلاد النوبة على الإطلاق، كانت تدعى فيما قبل: (مقابر عنيبة)!!

إي والله، لقد كانت موضع القبور، ومكان العظة لمن أرادها، فأصبحت الآن مدينة صغيرة، آهلة بالسكان، تضم عشرات الموظفين المثقفين في أرقى الجامعات المصرية والأجنبية، وبها الماء والنور!!..

ولم يقع اختيار الحكومة على هذه البقعة اعتباطاً، ولكنها اضطرت إلى إنشاء المركز الجديد بها اضطراراً، ولذلك قصة طريفة، نجملها فيما يأتي:

كانت بلدة (الدر) قبل سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وألف مقر المركز، وأهم موضع في بلاد النوبة على الإطلاق، وكيف لا، وبها دور الحكومة، ودواوينها: مدرسة ابتدائية لها قيمتها في ذلك الوقت.. ثم أغرقت بلدة الدر ضمن ما أغرق من البلدان النوبية بسبب التعلية الثانية، وغمرت مياه الخزان بناء المركز وبقية دور الحكومة جماء... وأرادت الحكومة أن تنشىء بنايات جديدة لمرافقها المختلفة في البلدة نفسها ولكن في مكان مرتفع عن منسوب المياه مهما طغت وكثرت. بيد أنها فوجئت من الأهلين بالمعارضة القوية الصارمة، والرفض الشديد، مما أثار الدهشة والحيرة، والتساؤل والارتباك، ولكن الحكومة إزاء هذا التصميم، لم تجد بداً من الالتجاء إلى بلدة أخرى غير الدر، غير أنها باءت بالفشل، ووجدت الرفض نفسه، والمعارضة التي لم يفلح معها إقناع بحال من الأحوال، وهكذا وقف نحو أربعين بلدة من بلدان النوبة هذا الموقف بعينه، ولم يقبل واحد منهم، ووراءه أهل بلدته بما لهم من سطوة ونفوذ أن يكون مقر المركز من نصيب بلدته، وكأنما هو الخطب الداهم، والشر المستطير!!..

وغفل كثيرون عن سبب هذا، وفهمه العارفون، وأدركوا سره وحمدوا هذا الموقف للنوبيين، لأنه برهن على اعتزازهم بشرفهم، وحرصهم على حماية أعراضهم، من أولئك الذين لا يفهمون واجبهم نحو ربهم، ونحو أنفسهم، فيستجيبون دائماً لداعي

الغريزة ، ويلبون نداء الشهوة ، ويعيثون فى الأرض فساداً ، ولا يبالون بأعراض الناس . إن هؤلاء أساءوا إساءة بالغة إلى أنفسهم أولا ، وإلى مناطقهم وبلدانهم ثانياً ، وكانوا شر قدوة ، وأسوأ أسوة !! ..

يا لله ! لقد شافهت الكثير من أهل هذه البلاد ، وخاطبتهم فى هذا الموضوع ، فأرقت منهم العيون ، وعادت بهم الذكرى تعيد الصور مكرورة ، وتبعث الأشجان محفورة فى الأفئدة والصدور، وكأنهم يعتقدون أن الله أنقذ عباده الخزان بلدة الدر ، وطهرها من الرجس ، حينما خلصها من شر الموظفين ، وإن بعض الأهلين يعتقد أن بلدة الدر خسرت بذلك سوقاً رائجة ، وتجارة نافعة ، وحركة دائبة !! ..

ومهما يكن من شيء فإن هذه الفكرة سائدة الآن بين الموظفين والأهلين على السواء ، وقليل ذلك الذى يرى أن اختيار هذه البقعة الصحراوية ، والتى لا تزال تشتهر بـ (قبر عنيبة) كما تدل على ذلك الخرائط الكبيرة القديمة ، والتى لا يزال المركز يحتفظ بإحداها يزن بها حجرة المأمور — قليل ذلك الذى يرى أن سبب هذا الاختيار مرجعه إلى المقاول الذى رست عليه المزايدة العلنية ، وأنه اختار هذه البقعة الصخرية بالذات ليوفر على نفسه مؤونة نقل الحجارة من مكان بعيد يكلفه كثير المشاق ، وطائل الوقت والمال !! .

وعلى الرغم من أن عنيبة قد سعدت بمقر المركز الجديد ، ونالها بذلك كثير من الرخاء والرواج ، لتعدد دور الحكومة فيها ، واختلاف دواوينها ، فإن (الدر) لا تزال تجاذبها أطراف ذلك الرداء ، وتأبى فى إصرار أن تستقل عنيبة بهذا الفضل ، وتنفرد دونها بذلك المجد الذى كان لها وحدها إلى عهد قريب .

أجل فإن اسم (الدر) لا يزال يحتل أبرز الأماكن فى هذه الدور ، مما يدعو إلى الدهشة والعجب فى نفوس الذين لا يعرفون شيئاً عن ذلك التاريخ القديم .. وأعجب من هذا أن بعض المصالح الحكومية لا تزال تتمسك باسم المركز القديم فتطلق على مركز عنيبة ، مركز الدر ، وكأنها لا تعترف بكل ما مر بهذا الإسم من حوادث ، وناله من كوارث الأيام ، ولا تقيم وزناً لهذا الإسم الجديد ، أو كأن للاسم القديم لذة ومتعة لا ترضى بغيرها بديلا .. أو كأن له رهبة وروعة ، فهى لا تريد أن تذهب بما اكتسبه على مر الأيام ، وكر الأعوام ، من جلال ووقار ، أو بمعنى أدق من تخويف وإرهاب ، ونفى وتشريد !! ..

وإننا لنحسن الظن بالحكومة بهذا التعليل كائناً ما كان ، وهو على أسوأ وجوهه خير ألف مرة ومرة من الوجه الآخر الذى يتبادر إلى الذهن من الإبقاء على تسمية المحكمة الشرعية ، والمحكمة الوطنية باسمهما القديم ، وترد بذلك الإسم المخاطبات والمكاتبات فى كثير من الأحايين ... ولا تزال حركة الإصلاح فى مختلف الوزارات تذكر مركز الدر فى قراراتها ، وتهمل مركز عنيبة !! ..

ولا شك أن بلدة الدر أعرق مجداً ، وأوفر حظاً من عنيبة ، ولا يزال فيها السوق التجارى الأصيل ، وإن زال مجدها الحكومى بزوال دور الحكومة ، ورحيلها عنها ، فلا يزال مجدها الحقيقى قائماً بشخصيات أهلها ، ونفوذ الكثيرين منهم ، وبخاصة الذين طلبوا العلم فيها ، والذين زاولوا فيها كذلك شتى الأعمال الحكومية ، واضطلعوا بمختلف المناصب !! ..

واسم الدر أعلق بأذهان الموظفين من اسم عنيبة الذى لا يعرفه غير المتصلين به من مهندسين ومدرسين وقضاة وأطباء وغير أولئك من طوائف الموظفين : فإذا ذكرت اسم عنيبة أمام أحد لم يفهم منه شيئاً ، وخالنى ألغز عليه ، فإذا رآنى جاداً غير هازل ، وصارماً غير مازح ، استفسر واستفهم ، ولم يذهب فكره إلى أكثر من مديرية الجيزة أو الفيوم ، أو بنى سويف . فإذا قلت له أبعد من هذا صمت ، وشك فيما أقول ، فإذا ذكرت له الموقع بالضبط ، وأنها بعد الشلال ، انقبضت نفسه ، وحال لونه ؛ فإذا قلت له إنها هى الدر ذات التاريخ القديم الذى لا يجهله أى موظف ، زم شفتيه ومطهما ، وعقد ما بين حاجبيه ، وهز رأسه فزعاً وهولا مما سمع ، وكأنما لسعته عقرب شائلة ، أو لدغه أرقم لعين ، واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وحوقل مرات ، واسترجع فى لهجة فزعة ، وكأنما ذكرت أمامه اسم واد من أودية العذاب ، أو طبقة من طبقات الجحيم !! ..

مهلا يا سادة .. فما هكذا تكون الوطنية ، ولا هكذا يكون الخوف والرعب فى القلوب لمجرد التمتع واللذة والبقاء فى المدن

العامرة ، والمواسم الآهلة ..

ولحسن الحظ أن الموظف تعتريه حالة نفسية ، ويسرع فى قضاء ما أريده ، وما أتيت من أجله ، قضاء عاجلا ناجزاً ، غير مقيد بقيد ، ولا مشروط بشرط ، على خلاف العادة ، إذ كان يصرفنى كل موظف من أمامه فى لباقة أو غير لباقة . . وكأنه حينما يسرع فى قضاء مصالحى يشفق بى ، ويعطف على ، أو كأنه يريد أن يبعدنى عنه ، ليبعد عنه الشر ! ! . .

ومهما يكن ، فإن اسم عنيبة أفادنى إلى حد كبير فى قضاء كثير من حوائجى حينما كنت أذهب بنفسى لقضائها ، وكان خيراً وبركة على الرغم من كل ما يقال ، وعلى الرغم من ألسنة بعض الإخوان والزملاء الحداد التى لا تنى عن القدح فى عنيبة ، والنيل منها فى كل مناسبة ، وفى كل مكان !

عبد الحفيظ أبو السعود

رقص السماح

للأستاذ حسني كنعان

هو نوع خاص من أنواع الرقص العربى القديم المجهول فى أقطار البلدان العربية ، اختصت به مدينة حلب وحدها دون سواها من البلدان . وأول من اخترع هذا النوع من الرقص الفنى الشيخ عقيل المنبجى المدفون فى ذروة جبل فى قضاء منبج يسمى باسم جبل الشيخ عقيل ، ومنبج هذه مدينة تبعد عن حلب ٦٠ كيلا يرجع تاريخ وفاته إلى ٤٠٠ سنة على الجملة ، وكان رحمه الله شيخ طريقة من طرق الأحمدية الموهوبين المرموقين ذوى الكرامات والخوارق ، اخترع هذه الطريقة من الأذكار التى يلجأ إليها أصحاب الطرق الصوفية فى خلواتهم عند ما يتحلقون حلقات حلقات فى الزوايا يذكرون الله فى طرائق شتى ، وفى أنغام متنوعة وموقعة على الضروب والأوزان ، يرمز إليها بالأرجل ، أو بالأيدى ، أو بتقديم الصدر أو بتأخيره ، وما هى إلا أن تبدأ حلقات الأذكار بإنشاد الموشحات حتى ترى أصحابها يتنقلون على حسب التواقيع والأوزان ، ويروحون ويجيئون فى القاعات ويضربون الضروب بالأيدى والأرجل ، وبتقديم الصدر وتأخيره فى انسجام وترتيب وخفة أو تباطؤ فى التنقل يبهج الناظرين ، فما يكاد ينتهى الجمع من إنشاد موشح حتى يبدأ غيره من نغمة أخرى ، فترى نفسك أمام هذى الموشحات الأندلسية التاريخية الموروثة كأنك فى قاعة من قاعات ابن سراج فى الأندلس أو ابن سريج ، فتذهل عن الدنيا لشدة ما يداخل فؤادك من أنواع الطرب والشجن والتلهى ، فتخالك فى عالم غير عالمنا وفى دنيا غير دنيانا . وفى حلب الشهباء مشيخة فى هذا الفن اختصاصيون ذاع صيتهم لدينا وغدوا مضرب الأمثال فى البراعة ، عرفنا من المتوفين منهم الشيخ صالح الجدبة ، وكان يحفظ عشرة آلاف موشح مع ضروبها وتواقيعها وأوزانها ، وعبده بن عبده ، وأحمد أبو خليل القبانى الدمشقى المعروف ، وغيرهم من الذين لم تحضرنى الآن أسماؤهم ...

وعرفنا من الموجودين على قيد الحياة منهم الشيخ عمر البطش ، والشيخ على الدرويش ، ومحمد ظيقور . وإنى أسجل هنا للتاريخ والحقيقة أن حلب قد انتهى إليها هذا الفن فى بلادنا ، ولأبنائها ميل خاص فيه طغى على جميع الميول ، يصلون الليل بالنهار ، والنهار بالليل دؤوباً عليه . وبين هذى الرقصات نوع خاص يسمى فى عرفهم « إسق العطاش » ، وهى سلسلة موشحات من نغمة الحجاز يستغرق معهم إنشادها من المساء حتى مطلع الفجر . ولأمر ما جاء فى الأمثال القديمة لدينا إن الدور أو الأغنية تنبع من مصر وتنتشر فى دمشق وتخلد فى حلب . فأهلها من أكبر المحافظين على القديم ، ومن أكبر المتلذذين والمتكسبين من هذه الصناعة إتقاناً ، وحسبك أن تعلم أن الشيخ على الدرويش كان من كبار الأساتذة الذين احتاجت إليهم مصر فى تعليم هذا الفن فى معاهدها الفنية الكبيرة ، واحتاجت إليه تونس وغيرها من الأقطار العربية ، وأن تعلم أن كبار النازفين على الكمان ، كالأستاذ توفيق الصباح[1] ، وكريم عزة ، ويوسف عزة ، وجميل عويس ، وسامى الشوا ، وفاضل الشوا ، جميعهم من الحلبيين ...

(١) وهو الملقب بسلطان الكمنجة ، وله عدة مؤلفات وقطعات موسيقية معروفة .

رأت الحكومة السورية فى عهدها الوطنى الميمون الطالعة أن تنهض بهذا الفن كما نهضت بغيره من بقية الفنون ، وأن تحيي مواته قبل أن تفنى البقية الباقية من أربابه وأساطينه ، فأسست فى دمشق تحت إشراف النائب السيد فخرى البارودى الذى يحدب على هذا الفن وأربابه لميله الخاص إليه مدرسة أطلقت عليها المعهد الموسيقى الفنى للاذاعة السورية الموقتة ، تسلم فرع الموشحات ورقص السماح فيه الشيخ عمر البطش ، ويعاونه فى ذلك سعيد فرحات وصالح المحبك الذى كان من أعضاء المؤتمر الموسيقى هو والصباغ المنعقد فى القاهرة تحت إشراف ساكن الجنان الملك فؤاد . واستقدمت له من تركيا الأستاذ رفيق فرسان لفرع النوتة والسماعيات والبشارف يرافقه زوجته وشوق بك ذلك الموسيقى الذى كتب عنه صديقنا الطنطاوى منذ أمد قصة الموسيقي العاشق فى الرسالة الغراء .

ويعاون هؤلاء فى أعمالهم أساتذة بعضهم من مصر وبعضهم من دمشق وحلب . ثم تألفت فى المعهد فرقة خاصة جمت الأساتذة وبعض النوابغ من التلاميذ يعرضون بضاعتهم ومنتوجاتهم على الملأ فى الحفلات الخاصة والعامة ، ويعرضونها فى محطة الإذاعة الدمشقية ، فيسمع الناس فيها السحر الحلال ، ويشهدون روعة الفن القديم . ولقد شهدت هذه الحفلات أكثر من مرة ، وكنت كلما شهدتها أزداد بها إعجاباً وفتنة ورغبة فى سماعها ، وقد ينتهى العمر وإعجابى لا ينتهى برقص السماح . وكم كنت أتمنى عند ما أشاهده الفينة بعد الفينة أن لو يتاح لإحدى الشركات السينمائية المصرية أو غيرها أن تأخذ شريطاً عنه فتعرضه على الناس ليشهدوا روعته وإتقانه ، وهو فن خالد قد أذهب الأقدمون فى إيجاده نور البصائر ، عسى بمشاهدته يلقى من التشجيع فى الأقطار الشقيقة ما يحفز الهمم على تعميمه وإحيائه بدلا من هذه الرقصات الخليعة الماجنة المخنثة التى سرت إلينا عن طريق الغرب سريان السل أو السرطان وفيها المخاصرة والمعانقة والمعايب ...

تصور معى سيدى القارئ كوكبة من التلاميذ الأحداث توحدت ملابسهم وهيآتهم ، وانسجمت أصواتهم ، واتسقت نغماتهم وحركاتهم ، ينشدون كالبلابل الموشحات الموقعة على الرقصات والآلات الوترية ، وقد تخرجوا على أيدى الصناع الفنيين وحذقوا ومهروا فى فنهم ، تعرض صورهم أمامك على الشاشة ، وتصور ما تحدثه هذى المشاهد وهذه الأصوات فى نفسك من أثر ورغبة فى إحياء موات هذا الفن . ألا ترى معى وجوب تعميمه والدعاية له ؟ وإنى لأضمن لهذا الفن الرائع الانتشار عن هذه الطرق ، فهو يرى كأنه جديد لدى أبناء هذا الجيل ، وكل جديد لا بد له من دهشة وروعة وفتنة . وإنى لا أزال أذكر ما أحدثته أول حفلة من حفلات هذا المعهد من أثر بالغ فى نفوس الشاهدين فى صالة سينما دمشق ، أخص بالذكر منهم المتشيعين للموسيقى الحديثة الدخيلة التى أفسدت علينا قديمنا ، وذهبت بأذواقنا ، تلك الموسيقى التى تمجها الأرض والسماء وهى بعيدة عنا ، لا نمت إليها ولا تمت إلينا بصلة أو نسب !

إنها لمأثرة تذكر لمعالى وزير المعارف الشاب الدكتور منير العجلانى بك أن يتم هذا الأمر فى عهده وفى ظل صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية المعظم الزعيم شكرى القوتلى بك الذى له فى كل عمل مأثرة ، وفى كل نهضة مفخرة ، فالنهضة السورية فى كافة نواحيها مدينة إليه وإلى رئيس وزارته السيد جميل مردم بك سدد الله خطوات الجميع لما فيه الخير والفلاح لخدمة هذا الوطن المفدى الذى أخذ بهذه الوثبة يشق طريقه فى الحياة .

(دمشق) **حسنى كنعان**

الألغـــاز عند العرب ...

للأديب عبد الله نيازي

قال صاحبي ، أنا أحجيك في هذا اليوم ، قلت : في أي شيء؟ قال: في لغز لا أظنك تستطيع حله . قلت : هات عسى أن أدرك كنهه ، قال : دخل أحد الأفراد إلى محل تجاري كبير آملا أن يجد له فيه مكاناً يكسب منه رزق يومه ، ولما دخل إلى مدير المحل أفضى بما جاء من أجله وأبدى رغبة ملحة في توظيفه ، فأشار المدير إلى سكرتيره إشارة خاصة ذهب بعدها السكرتير وأتى بقدح مملوء بالماء موضوع في وسط صينية وقدمه إلى الزائر ، وفكر الزائر هنيهة ثم رفع قشة ووضعها على سطح الماء الذي في القدح . فمجب المدير لفطنته وذكائه وأوجد له مكاناً ... قال صاحبي ما سر هذا اللغز ، وإلى أي شيء رمز قدح الماء الذي قدم إليه ؟ ثم ما معنى تلك القشة التي وضعها الزائر وكانت سبباً في توظيفه ؟.. ثم سكت صاحبي وارتسمت على وجهه سمات الارتياح والنصر معاً ، ففكرت برهة ثم قلت ، إنما القدح المملوء بالماء يعني عدم وجود مكان لكثرة الموظفين الموجودين ولا يوجد أي مكان لطالب جديد. أما القشة التي وضعها الزائر فإنه أفهم المدير بلطف إلى أن القشة لم تزد على الماء شيئاً وكذلك لم تنقصه ، وأنه إذا أضيف إلى عدد الموظفين الموجودين لا يؤثر فيهم شيئاً . فدهش صاحبي وقال : لا بد أنك سمعته من قبل فنفيت زعمه وأبى أن يصدق .

والمطلع على أدبيات العرب يجد الكثير من أمثال هذا اللغز . وتعرف بالألغاز والأحاجي وكانت العرب تزيد في إبهامها وغموضها لتفحم سائلها في فهمها وتفاخر بالتفوق عليه ، وكانت هذه الألغاز وسيلة للتندر وتزجية للوقت معاً ، والذي يشبه اللغز الذي رواه صاحبي بل ويفوقه من حيث الوضع والمعنى ما حكاه المدائني من أن رجلا مر بحي الأحوص ، فلما دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته فأتى شجرة فعلق عليها وطبا من لبن ووضع في بعض أغصانها حنظلة ، ووضع صرة من تراب وصرة من شوك ، ثم أتى راحلته فاستوى عليها وذهب . فنظر الأحوص والقوم في أمره فلم يدركوا سر ما فعل ، فقال أرسلوا في قيس بن زهير وكان فارساً شاعراً داهيا يضرب به المثل ، فجاء . فقال له الأحوص : ألم تخبرني أنه لا يرد عليك أمر ألا عرفت مأتاه ؟ قال : فما الخبر؟ فاعلموه ، فقال : وضح الصبح لذي عينين ، ثم قال : هذا رجل أسره جيش قاصد لكم ، ثم أطلق بعد أن أخذت عليه العهود والمواثيق أن لا ينذركم ، فعرّض لكم بما فعل : أما الصرة من التراب فإنه يزعم قد أتاكم عدد كثير ، وأما الحنظلة فإنه يخبر أن بني حنظلة غزتكم ، وأما الشوك فإنه يخبر أن لهم شوكة ، وأما اللبن فهو دليل على قرب القوم أو بعدهم إن كان حلواً أو حامضاً . فاستعد الأحوص وورد الجيش كما ذكر قيس .

وتفننت العرب في وضع الألغاز تفنناً مدهشاً وذهبت بها مذهباً بعيداً وأخلتها الشعر وأحكمت وضعها وتركيبها . ونسوق مثالا على ذلك مقدام الخزاعي .

وعجوز أتت تبيع دجاجـــاً   لم يفرخن قـد رأيت عضالا
ثم عاد الدجاج من عجب الدهر   فراريج صبية أطفـــالا

وقال : يعني دجاجة الغزل ، وهو ما يخرج عن المغزل ، ويعني بالفراريج الأقبية ... ومن الأحاجي هذه ما كان يأتي بأول كلمة من معنى يضمره الحاجي وعلى المجيب أن يأتي به . ومنها مارووه عن هند بنت الخس وهي قديمة في الجاهلية قالوا وكانت ساجمة مبتذلة تحاجي الرجال إلى أن مر بها رجل فسألته المحاجاة ، فقال كاد ... فقالت : كاد العروس يكون الأمير ، فقال : كاد ... فقالت : كاد المنتعل يكون راكباً ، فقال : كاد .. قالت : كاد البخيل يكون كلبا وانصرف . فقالت له ، أحاجيك ؟ فقال قولى ، قالت عجبت ... قال : عجبت للسبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها . فقالت عجبت ... قال ، عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها... ثم أفحمها بكلمة بذيئة فخجلت وتركت المحاجاة .

ومن أطرف ما ذكر في هذا الشأن دخول أبي القاسم القطان على الوزير الزينبي يهنئه بالوزارة فوقف بين يديه ودعا له وأظهر الفرح ورقص ، فلما خرج قال الوزير لبعض أهل سره : قبح الله هذا الشيخ ! أنه يشير برقصه إلى قولهم : ارقص للقرد في دولته .

وبعض الألغاز كانت تجيء عفوا من طريق المصادفة وما كانت تقصدها العرب وهي نوعان : منها ما يقع الإلغاز فيه من حيث المعاني وكانت لا تفهم من أول وهلة ، ومنها ما يقع فيه الإلغاز من حيث اللفظ والتركيب ، ... هذا وللعرب ألغاز وأحاج كثيرة لا يتسع المقام لبسطها هنا فاكتفينا بهذا المقدار ليكون على علم من أن للعرب ألغاز وأحاجي تفوق ما يتناقله الناس الآن

بغداد   عبد الله نيازي

ليـــــالى الحصاد

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

يا ليـالى الحصاد ما أنت إلا بهجـة العمر يا ليالى الحصاد
فيك دنيا من الجمال تجلت لقلوب إلى الجمـــال صواد
الضياء الذى يرقرقـــه البد ر فيجرى على الربى والوهاد
والحقول التى تهـــز فؤادى رقة فى نباتهـــا المياد
وتراءى سـنابل القمح فيها كـعذارى يمسن فى الأبراد
كل عـذراءفى بهى صباها تتهادى مـع السنا المتهادى
والنسيم الذى يمـر على القمـ ـح رقيقاً كخطرة فى فؤادى
أو كهمس الصباح فى أذن الـكو ن لينجاب عنه طيف الرقاد
أو كشدو الطيور فى رونق الفجـ ـر ، وفى بهجة الربيع الشادى
أو كصوت الأوتار إذ لمستها فى حنان أنامـل العواد
والحديث الشهى ، والسمر الممـ ـتع بين الأتراب والأنداد
والعذارى التى فقدت صوابى فى هواها ، وضاع منى رشادى
ألعذارى التى تحـــوم عليها أخيـلاتى فى صحوتى ورقادى
ألعذارى التى تضم إليهـــا حزم القمح فى هوى واتئاد
وتغنى بأغنيات شـــباب عاش رهن الأغلال والأصفاد
كل أنشودة تصور قلبـــا مستهاما بحـــاضر أو باد
كل أنشودة تذيع نـــداء وهتافا برغبـــة ومراد
لفظها هزة الصدور ، ومعنا ها خفوق القلوب والأكباد
وصداها يرن فى كل قلب وهو فى الأفق رائح أو غاد
يا عذارى الحقول أسعدن قلبى برقيق الغناء والإنشـــاد
علنى أسـتعيد ذكرى غرام مر فى العمر كالشعاع الهادى
كان أنسى ، وكان روح شبابى ، ليته عاد بعد طـول البعاد
يا عذارى الحقول يا منية الأر واح رفقا بهـــذه الأعواد
إنهـــا منبع الحياة لشعب ما تربى إلا على الأمجـاد
قد غذاها بروحه نيل مصر وســـقتها روائح وغـواد
ورعتهـــا الشمس النيرة حتى هيأتهـــا لمنجل الحصاد
حسبهـــا أنها تعد عزوقا فى ثرى مصر كعبة القصاد
كل نبت وكل شىء عزيز حين ينميه موطن الأجـداد
يا عذارى الحقول أين غـذاء الروح بعد الغذاء للاجساد ؟
إن تقدمنه تقدمن مجدا وســـناء وعزة للبـلاد
إنمـا الـكون ساحة لسباق قوة الروح فيه خـير الجياد

يا ليالى الحصاد دمت ، ولا طا فت بمغناك طائفات العوادى
ما أحب السهاد فيك ، وإن كا ن عجيباً فى الليل حب السهاد!
يا ليالى الحصاد قد طلع الفجـ ـر بشيراً باليمن والإسعاد
فاستفاق الوجود ، وانتبه الـكو ن ، وغنى له الزمان الحادى
يا ليالى الحصاد عودى إلينا كل عام على مـــدى الآباد
إنما أنت بهجـــة ونعيم لمحبيك يا ليـــالى الحصاد

١ – إلى الروضة(*)

للأستاذ العوضى الوكيل

(قيلت يوم دخل ممدوح الوكيل روضة أطفال شبرا)

بنى غداً تمضى إلى الروضة التى تعدك للتثقيف تصفو مناهله
وتعـلم منهـا أننى لك ناظم قصيداً كأفق الروض غنت بلابله
أســطره فى الطرس حتى إذا استوت بك السـن تدرى ما الذى أنا قائله
نشرت به شعر البنوة رائعاً فمن لى بشعر مثل شعرى أساجله

٢ – نجـــــاح

(نجح ممدوح الوكيل فى الروضة فهنأناه بهذه القصيدة)

هنيئاً لك الفوز الذى نلت. إننى ذخرتك للأيام يا أنفس الذخر
ثلاثون عاماً عشتها وثلاثة وماذا تبقى لى من العمر؟ لا أدرى
ولـكننى أدرى بأنك وُصلة يطول بها عمرى وإن غبت فى القبر
أرى فى أمانىَّ الـكريمة صورة لمجدك سماقاً على هامة الدهر
وألمح سباقاً إلى الخير ناهضاً ولا يبتغى إلا رضائى من الأجر
وألمح مصراً وهى أمك تنحنى عليك للثم الثغر والخد والنحر
ويا ليت شعرى ما تمنيت ضلة ففشت سمادير الهموم على أمرى

بُنىَّ امض للعلياء وابلغ بروجها ولو كان مسراها على ملتظى الجمر
وإن فخر الأبنـاء يوماً بوالد فمن تستطيع الفخر فى ساحة الفخر
وحسبك من مجدى وفائى وعفتى وما روت الأيام من ذلك الشعر

(*) من ديوان عالى الصغير « ديوان فى شعر البنوة والبيت » .

الأدب والفن في أسبوع

الصهيونيون ليسوا من بني إسرائيل :

كان حديثاً طريفاً حديث الدكتور محمد عوض محمد بك بالمذياع مساء يوم الجمعة الماضي ، فقد قال في هذا الحديث إن هذه الشراذم الصهيونية التي تأتي بفلسطين أشنع الأعمال وأدلها على الانحطاط النفسي والخلق ، ليست من بني إسرائيل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، فهؤلاء الذين يقتلون الحوامل ويسممون مياه الشرب ويلوحون بالأعلام البيضاء ريثما يتمكنون من الغدر ، لا يمكن أن يكونوا من ذلك العنصر الطيب الذي كان يسكن فلسطين قديماً ، وإنما هم من أمم مختلفة وأكثرهم من العنصر الجرماني اعتنقوا اليهودية في العصور التي نشط فيها التبشير اليهودي . ومما يدل على ذلك اختلاف سحنهم وألوانهم وتكوين أبدانهم ، فلا يعقل أن يكون كل هؤلاء المتباينين أبناء سلالة واحدة ، واستشهد الدكتور بأقوال بعض علماء اليهود التي تنص على دخول كثير من الأجناس في الديانة اليهودية في عصور مختلفة . وقد كان نصف سكان الاسكندرية في بعض العصور القديمة يهوداً ، كما انتشر الدين اليهودي في بلاد اليمن في عصر سحيق ، فهل صار أولئك القدماء من المصريين واليمنيين بذلك من بني إسرائيل ؟!

وقال الدكتور عوض إن هذا الخلط بين الدين والعنصرية بادعاء اليهود أنهم من بني إسرائيل ، خلط عجيب ، لأنه يحصر الدين في سلالة البيت النبوي ، ولا يقول بذلك عاقل ، فليس معنى الدين الإسلامي مثلا الهاشمية أو القرشية . ومما لا شك فيه أن قبيلة بني إسرائيل قد تفرق دمها ، كأي قبيلة أخرى ، فالقبائل لا تبقى . والخلاصة أن هذه العصابات الصهيونية التي تدعي باطلا أنها من بني إسرائيل ، إنما هي أشتات من الأجناس والأمم ، وهي أشتات منحطة ساقطة الفضائل الإنسانية تنم عليهم أفعالهم التي تباعد بينهم وبين السلالة الإسرائيلية . فليست دولتهم التي أعلنوها بفلسطين هي لحسب المزعومة ، بل هم أنفسهم مزعومون وهم دخلاء في النسب كما أنهم دخلاء في فلسطين .

عملية الأدب من الوجهة النفسية :

ألقى الدكتور ابراهيم ناجي محاضرة برابطة الأدباء يوم الأحد الماضي موضوعها « رسالة الأدب » ، وقد أفاض في بيان معنى الأدب وطبيعته ورسالته ، حتى استغرق في ذلك نحو ساعتين استأثر في خلالها بانتباه الحاضرين من الأدباء والمتأدبين على رغم الإطالة والحر ...

ومما تناوله الدكتور ناجي في هذه المحاضرة شرح العملية الأدبية من الوجهة النفسية ، إذ قال :

« نحن نعيش في ثلاثة عوالم : العالم الخارجي ، والعالم الشعوري ، والعالم اللاشعوري ؛ أو عالم الحقيقة ، وعالم الشعور ، وعالم الخيال . وهذه العوالم في دنيانا العملية تكاد تكون منفصلة تماماً ، أو على الأقل بينها اتصال غير كامل . أما العالم الخارجي ، ففيه المواد التي تستمد منها التجربة ، ولكن وجود التجربة وحدها لا يكفي بغير أن تزول ما بينها وبين العقل الواعي من فواصل ، فيؤدي ذلك إلى اندماجها بالشعور حتى يحدث ما يسمى لحظة انفعال . على أن هذه اللحظة تستوعب التجربة صورة موحدة وأنموذجاً كاملا ، فلا يلتقطها الشعور متفرقة مبعثرة ؛ فإذا انزاحت الفواصل بين الشعور واللاشعور ، فإن اللحظة الانفعالية تصير حالة انفعالية ممتدة الزمن ، وزيادة على ذلك يستوعب الانفعال التجربة كخليط معقد متعدد الجوانب ، وهذا ما يجعله مثيراً ومشتعلا ، ويجعل الأديب متوثباً لاستيعاب الانفعال والسيطرة عليه ، ومتهزاً فرصته لكي يتاح له أن يستعيد هذه الصورة الحسية الفنية بالألوان ، ولن يتاح له ذلك إلا في وقت يحس فيه أنه على وشك التعبير ، وقد يسمى هذا وقت الإلهام ، ولكننا سيكولوجياً نعرف أنه وقت اختلاط الشعور باللاشعور ... الشعور يغزو اللاشعور ، واللاشعور يطفو بأحلامه وضبابه في الشعور . هذه لحظة تحرر كاملة تفسر لنا السرور الذي نشعر به إذ ذاك . أما الشعور فهو تحليلي في نزعته ، وأما اللاشعور فهو تركيبي . فالشعور يتسلم التجربة ويحيلها قطعاً ، ثم يسلمها

إلى اللاشعور الذى يعيد تركيبها ، ولكنه يعيدها ومعها فروق وتدرجات وألوان وأصباغ وأضواء وظلال ، كالآفاق التى تبدو فى الحلم تماماً . وذلك لأن اللاشعور طبقات وإمكانيات ، وهو يعطى بالتدريج ، ويغرى باقتحامات جديدة . وقد يسأل السائل : ألم يكن من الجائز انتهاز فرصة التجسد الشعورى لخلق عمل فنى ؟ فنجيب بأن التجسد الأول إنما هو تضخم متعب قد يؤدى إلى الانتحار أو الجنون ، أما التجسد الأخير فهو تجسد مخفف تدريجى يطفو فى وسط الألوان والأضواء ، وفيه شعور بالتحرر المنظم ، وفيه كذلك شعور بالتحرر من قيود العرف ، ولذلك يصلح التعبير دائماً فى هدوء الليل وفى الوحدة البعيدة عن العالم .

ويتضح من ذلك أن فى طبيعة العمل الأدبى قسم كبير متعلق بالصنعة ما دام العقل الواعى مشتركا اشتراكا كبيراً فى تنظيم العمل ، ولكن الجزء اللاشعورى له أهميته العظيمة . ومن ثم يتضح أنه لا يوجد عمل عبقرى لا تدخل فيه الصنعة . والذين يقولون بالسليقة إنما يجهلون المعانى السيكولوجية للأعمال الفنية .

ويبدو من هذا التحرر السيكولوجى أن المسألة محاولة إزالة فواصل ، فمن الباطن إلى الواعى إلى الخارج ... ومعنى ذلك أنها عملية إفضاء إلى الغير ، أو بعبارة أخرى الخروج عما هو شخصى إلى ما هو إنسانى . وهذا هو غرض الفن وغرض الأديب ورسالته. ويتضح كذلك الفرق بين طبيعة العصبى والعبقرى ، فالأول يهتم بتحقيق رغبة مكبوتة ، أما العبقرى فهمه التعبير عنها ، وشتان ما بين الاثنين !

الكاريكاتور فى شعر ابن الرومي :

كان الأستاذ كامل كيلانى قد ألقى محاضرة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول بالأسكندرية موضوعها « الكاريكاتور فى شعر ابن الرومى » ، وقد عن له أن يستوفى هذا البحث ليخرجه فى كتاب ، وهو يعمل الآن فى إنجازه .

ويتكون هذا البحث من جولات فى متحف الكاريكاتور الذى يضمه شعر ابن الرومي ، والذى يتألف من أقسام مختلفة ؛ فهذا معرض الأنوف ، ومن تحفه صورة لأنف « كنيزة » المغنية ، هى قوله :

« فيه لفرخين عش »

وذاك معرض الدواب الآدمية ، ومن محتوياته وجه « الحربثى » فى صورة ثور :

للحربثى أبى بكر غبب (١) ... وله قرنان أيضاً وذنب

وتحين منك التفاتة إلى ركن فى أحد الأبهاء ، فإذا صورة كاريكاتورية فذة رسمها الفنان ابن الرومى لنفسه فى براعة عجيبة :

من كان يبكى الشباب من جزع ... فلست أبكى عليه من جزع
فإن وجهى بقبح صورته ... ما زال بى كالمشيب والصلع
أشب ما كنت قط أهرم ما ... كنت فسبحان خالق البدع
إذا أخذت المرآة سلفنى ... وجهى وما مت هول مطّلعى
شغفت بالخرد الحسان وما ... يصلح وجهى إلا لذى ورع
كى يعبد الله فى الفلاة ولا ... يشهد فيه مشاهد الجمع

آفة البرامج :

استبشرت مجلة « الإذاعة المصرية » بما تلقته الإذاعة من المقطوعات فى مباراة الأغانى التى نظمتها ، فقالت : يبدو أننا مقبلون على فجر عهد جديد من الغناء الرفيع ، لأن بين هذه المقطوعات من يقول المحكمون إنها من الطراز الأول فى عالم الشعر الغنائى ، ونتوقع أن ترفع مستوى البرامج .

وأعربت المجلة عن اغتباطها بظاهرة تدعو حقاً إلى الاغتباط ، وهى أن كثيراً من الأغانى التى وقع عليها الاختيار من إنتاج بعض العمال والصناع الذين يرسلون المغنى على سجيتهم وينظمون الشعر الغنائى بالسليقة فى موضوعات قومية ظاهرة الصدق صادقة الإحساس .

والحمد لله الذى وفق الإذاعة إلى هذه الثغرة التى تخرج بها عن النطاق المضروب حولها من المؤلفين المتصلين بموظفى الإذاعة ، فهؤلاء « المؤلفون » هم آفة البرامج ، ولا شك أن انقشاع لياليهم عن الإذاعة بما فيها من التأوهات ونداء الحبائب ، وما يشيع فيها من السخف والتفاهة — هو المبشر بأننا مقبلون حقاً على فجر جديد .

أدركته الحرفة :

تحدث بعض الصحف عن الوضع الشاذ الغريب لموقف

---

(١) الغبب : اللحم المتدلى تحت الحنك فى البقر وغيره .

الخبير الاقتصادى المصرى بالسودان ، من حيث اضطراره — إزاء تصرف الحكومة السودانية فيما يختص بأعمال وظيفته — إلى الفراغ التام لعدم وجدان ما يعمله فى مصر أو فى السودان .

والطريف فى الموضوع أن إحدى المجلات قالت إن الخبير لما لم يجد ما يشغله قرر أن يشتغل بالأدب ! .

وأذكر أن موظفاً مصرياً آخر فى السودان هو مراقب التعليم المصرى هناك ، أبت الحكومة السودانية أن تسمح بدخوله السودان ، ولا يزال إلى الآن فى وظيفته رسمياً مع هذا المنع ، فماذا يصنع هذا أيضاً ؟ لقد كان قبل ذلك عميداً للرسم بوزارة المعارف ، فهل يشتغل هو أيضاً بالرسم ؟

مصائب السياسة فى الفنون فوائد ...

مؤتمر اليونسكو :

توالى لجنة (اليونسكو) بوزارة المعارف ، النظر فى موضوع اشتراك مصر فى مؤتمر (اليونسكو) الذى سيعقد ببيروت فى أكتوبر القادم . وقد أرسلت إلى وزارات معارف الدول العربية الشقيقة بالأسس التى ستبنى عليها تقريرها المؤتمر لتضع فى ضوئه تقاريرها توخياً لتوحيد وجهة النظر العربية فى شئون الثقافة العالمية .

ومن المسائل التى يتضمنها تقرير وزارة المعارف المصرية ، مسألة القدر المشترك من التعليم لكل مواطن ، وهى من المسائل التى أوصى بالاهتمام بها مؤتمر الهيئة الذى عقد بالمكسيك فى العام الماضى ، على ألا يقتصر الأمر فيها على تعليم الكتابة والقراءة ، بل يجب العمل على تزويد المواطن بقدر من الثقافة العلمية والاقتصادية ، ومما قالته الوزارات أنها أخذت فى سبيل تحقيق الثقافة الاقتصادية بإنشاء مدارس الصناعات الريفية ، ومدارس المعلمين الريفية ؛ التى يقصد منها تعليم النشء الصناعات الملائمة لبيئاتهم .

ومما يذكر أن هذا المؤتمر الذى سيعقد ببيروت هو المؤتمر الثالث للهيئة ، وكان المؤتمر الأول بباريس سنة ١٩٤٥ ، والمؤتمر الثانى كان فى المكسيك سنة ١٩٤٧ .

الألفاظ والأساليب فى المجمع اللغوى :

ذكرت من قبل أن لجنة الألفاظ والأساليب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، أعدت قرارات فى ستة عشر لفظاً وأسلوباً ، رأت صحة استعمالها بدل ما يجرى على الأقلام وألسنة المثقفين مما ليس بصحيح .

والخطة الموضوعة أن يعرض ما تقرره هذه اللجنة على مجلس المجمع للنظر فيه ومناقشته ثم يذاع عقب إقراره على الجمهور فى الصحف .

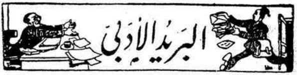
والستة عشر لفظاً وأسلوباً الآنفة الذكر هى باكورة عمل اللجنة فى هذا الصدد ، وقد عرضت على مجلس المجمع فناقش بعضها ، ثم انفض على أن يستمر فى مناقشتها بالجلسات التالية ، ولكن الذى حدث أن الجلسات التالية لم تنعقد ، لأن عدد الأعضاء الذين كانوا يحضرون لم يبلغوا فى كل مرة النصاب المعين لانعقاد المجلس ، فينعقد الحاضرون لجنة .. واستمرت الاجتماعات « لجنة » نحو أربعة أسابيع ، ثم أعلن انفضاض الدورة . وعلى ذلك اضطرت « الدفعة الأولى » من الألفاظ والأساليب إلى انتظار الدورة القادمة فى أكتوبر القادم .

جناس :

لما كان المغفور له الملك فؤاد بباريس فى أثناء زيارته لأوربا — زار جامع باريس ، فاستقبله الشيخ قدور بن غبريط شيخ الجامع بخطبة قال فى مطلعها :

الله أحمد ، وأصلى على نبيه أحمد ، وأحيي ملك مصر أحمد .

العباسى



حول «رائد التراث العربي» للأستاذ صلاح الدين المنجد :

ظهر كتاب «رائد التراث العربي» منذ حين ، وهو كتاب بعضه ترجمة وبعضه تأليف ، وعنوانه مخالف لعنوان الأصل المترجم عنه . ولعل الأستاذ المنجد اختار هذا العنوان الطريف اللطيف الجرس ليستر شيئاً . بل لقد أراد أن يشهد قراء العربية على أنه ألبس الكتاب ثوباً جديداً فاحتاج إلى عنوان جديد . وموضوع كتاب «رائد ..» غير موضوع الكتاب الأصلي : لا يحوى من الأصل إلا النصف الأخير ؛ ولم يكن له أن يقيم هذا النصف مشطوراً مظلوماً ، يصرخ حسرة على نصفه الأول .

وقد نشرت مجلة «الرسالة» نقداً للكتاب ، فيه بعض مآخذ على المؤلف وبعض مآخذ على المترجم ، إن كان الأستاذ المنجد يعد مترجماً (أنظر الرسالة عدد ٣١ مايو الماضي) . والرسالة تفسح لنقد الكتب مكاناً تشكر عليه ، وتوليه من الاهتمام ما يؤتى لها الفضل على العلماء والباحثين .

ولكن لهذا الكتاب قصة طريفة نحب إشراك القراء فيها ، ليتفكهوا بسير بعض العلماء ، فلعل في هذه القصة عبرة لمن شاء أن يبلغ الشهرة بأيسر جهد . وقد بلينا في زماننا بجماعة يقمون على كتب أساتذتهم فيأخذون بعضها ويضيفون بعضاً مهلهلا حباً في الصيت ، ومفاخرة بعدد الكتب ، وإدعاء للعلم الرخيص . وإثم هؤلاء كبير لأنهم يسدون الطريق على العاملين المخلصين في العلم .

أخرج الأستاذ المستشرق العالم جان سوفاجيه عام ١٩٤٢ كتاباً بالفرنسية عنوانه «مقدمة في تاريخ الشرق الإسلامي (المراجع الأساسية)» ثم أعاد نشره عام ١٩٤٦ بعد أن أدخل عليه إضافات وتصحيحات استغرقت ست صفحات .

والكتاب نفسه كتاب قيم عظيم الفائدة لطلاب التاريخ جميعاً مبتدئين وعلماء ، وإنه ليذكر الحقائق البسيطة التي يدركها العالم بالمران ثم لا يجد لها ضابطاً حتى ليعجز عن تلقينها جملة واحدة إلى تلاميذه ؛ فالكتاب كله تواضع لأنه يذكر الحقائق المعلومة التي نمر عليها كراماً فلا نعيرها ما تستحق من الالتفات مع عظم أهميتها . ولقد جعل المؤلف من هذه الحقائق مادة خصبة فأرانا كيف يكون جلال البسائط .

قسم المؤلف كتابه قسمين تناول في الأول طبيعة المصادر في التاريخ الإسلامي بالنسبة لمثلها في فروع التاريخ الأخرى ، وعرض للمصادر المختلفة التي يجب الرجوع إليها من الروايات الشفوية والقصص التاريخية والحديث وكتب التاريخ والرحالة والجغرافيين ورجال الفقه ، ومن النقوش والنميات والآثار ، فبين لنا إلى أي حد نستطيع الاعتماد على كل مصدر من هذه المصادر ، وحظ كل منها من الوثوق . فهذا القسم كما ترى خاص ببيان مناهج البحث التاريخي وبنقد المصادر .

وقد أجمع النقاد في أوربا على أن هذا القسم من أهم أقسام الكتاب وأعظمها فائدة وابتكاراً ؛ فإذا قرأته راعك منهج الأستاذ المستشرق العليم بطموحه إلى بناء التاريخ الإسلامي على أساس على متين دقيق . لأنه يرسم منهجاً علمياً سليماً ، ويصور لك ما يجب أن يتحلى به العالم من وسائل البحث والدرس والتمحيص والعرض . ولن تجد مؤلفاً قبله تناول جميع المصادر الإسلامية فنقدها هذا النقد العلمي السليم . فجاء كتابه دعوة إلى منهج علمى دقيق جديد يخالف الطرق الارتجالية القديمة ، ويؤذن بابتداء الدراسة العلمية في التاريخ الإسلامي وإتباع أمثل طرائق البحث والنقد والمقابلة . وإنما دعا الأستاذ إلى منهج طبقه بنفسه تطبيقاً أدى إلى أبعد النتائج العلمية أثراً في التاريخ الإسلامي وأحراها بإظهار هذا التاريخ في صورته العلمية الحقيقية . فمن من المتعالمين في عصرنا قرأها ؟

أما القسم الثاني من الكتاب فيتناول المراجع الأساسية العربية والإفرنجية ويعرضها عرضاً شيقاً حسب العصور التاريخية ؛ فيبين كيفية الاستفادة منها ، ووجوه النقص فيها ، واتجاه الباحثين في درسها ، ويبين ما درس وما لم يدرس ، وقيمة ما ظهر من الدراسات . ولم يترك من المراجع الأساسية شيئاً ، أما المراجع الفرعية فلها مظانها المعروفة الكثيرة . وإنما أراد المؤلف بذكر الأصول تصوير علمنا بتاريخنا وما بلغناه فيه . فأظهر في ذلك براعة تدل على سعة العلم ، وحب للتاريخ الإسلامي ، وازدراء للبحث السطحي .

ثم جاء الأستاذ المنجد ، فحذف القسم الأول الهام كله لم يكد يبق منه شيئاً ، وترجم القسم الثاني ثم أضاف إليه ما شاء من عنده ، وجعل هذا كتاباً !

فالأستاذ المنجد مسئول عن كتابه وحده ، والأستاذ سوڤاجيه برىء منه كل البراءة . وقد تبرأ منه بنفسه علناً ، ونشر رأيه في المجلة الأسيوية هذا العام . وكان يجب على ناقد « الرسالة » أن يطلع على المجلة الأسيوية ليعلم أن أستاذنا سوڤاجيه لم يأذن للأستاذ المنجد بترجمة ما ترجم . وذنب المترجم أعظم لأنه مسخ الكتاب ، فلم يكن باراً بنفسه ولا بأستاذه .

وكنت عرضت على الأستاذ المنجد أن نشترك في إخراج الكتاب كاملا ، لأنى ترجمته فعلا ، وراجع المؤلف ترجمتي ولكنى لم أنشرها بعد . غير أن الأستاذ المنجد أبى واستكبر واعتبر ما ترجم ومسخ جزءا من حلقة علمية طويلة ترجو أن تمتد لها أيامه ، وإن كانت طلائعه لا تنذر بخير كثير .

فإن يجد النقاد مآخذ على « رائد التراث الإسلامي » فكتاب سوڤاجيه منها برىء .

محمد عبد الهادي شعيرة
أستاذ مساعد بكلية الآداب بالاسكندرية

مباراة في القصة :

نظمت مجلة « الأديب » البيروتية مباراة في القصة أعلنت عنها في عددها الصادر في مستهل الشهر الحالي (يونيو — حزيران) ويمنح الفائز فيها ١٥٠ ليرة لبنانية تبرع بها الأستاذ أحمد عويدان .

وتتضمن شروط المسابقة ما يلي :

١ — الاشتراك مباح للجميع .

٢ — يجب ألا تزيد القصة عن أربع صفحات من « الأديب » ولا تنقص عن اثنتين على أن لا تكون نشرت أو أذيعت قبل الآن .

٣ — تكتب القصة على الآلة الكاتبة أو تكتب بخط واضح من ثلاث نسخ .

٤ — تنتهي مدة قبول الاشتراك في أول سبتمبر (أيلول) ١٩٤٨ وتذاع النتيجة في عدد شهر أكتوبر (تشرين الأول) من مجلة الأديب .

٥ — تحكم بين المتبارين لجنة تختارها « الأديب » وتعلن أسماء أعضائها مع إعلان النتيجة .

٦ — للأديب أن تختار من القصص ما تشاء للنشر على صفحاتها بعد إعلان نتيجة المباراة .

٧ — ترسل القصص إلى « الأديب » ص . ب رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان ويكتب على الغلاف الخارجي « مباراة القصة » وتذيل القصة بإمضاء مستعار ويوضع الإسم المستعار والإسم الحقيقي في غلاف صغير يرفق بها .

والمجلة ترحب باشتراك الأدباء وكتاب القصة المصريين في هذه المسابقة ويمكن الاطلاع على شروطها الكاملة في عدد شهر يونيو .

وديع فلسطين
وكيل مجلة الأديب في مصر

في قصيدة :

في عدد الرسالة الغراء (٧٧٩) قصيدة ماتعة للأستاذ الشاعر حسين الظريفي بعنوان « في أخريات الشباب » مطلعها :

أصبحت لا غضاً ولا ذاوياً   أحيي شباباً لم يعد زاهيا

ولقد استوقفني منها قوله :

سقياً لشرخ من شباب مضى   ما كنت في يوم (له ساليا)

إذ لا يقال (سلا — أو سلى — له) وإنما يقال (سلا عنه) .

قال المتنبي :

فقلت إذا رأيت أبا شجاع   (سلوت عن)العباد وذا المكان

وحروف الجر والتعدية وإن كان ينوب بعضها عن بعض ، إلا أن المقام هنا ليس مقام نيابة على كل حال ، والسلام .

(الزيتون) **عدنان**

تصحيح :

وقع في قصيدة الأستاذ محمود غنيم «يا أخت عمورية» المنشورة في العدد الماضي ، هنات مطبعية يدركها القارىء بفطنته ، ولكن قافيتي البيتين الآتيين حرفت تحريفاً بعيداً عن الأصل ، وصحتهما :

ليس الثرى للشاردين بمسكن   رحب ولا للمتعبين مقيلا

يا أخت عمورية لبيك قد   دقت خاتك للحروب طبولا

الكتب

١ - أذن وعين

تأليف الأستاذ سلمان الصفوانى

مجموعة من المقالات « الخفاف » القصار تقارب الخمسين كل منها فى صفحتين وقلما تزيد أو تنقص عنهما بضعة سطور . بدأ الأديب العراقى الأستاذ سلمان الصفوانى صاحب جريدة « اليقظة » العراقية ينشر مقالاته هذه متوالية فى صحف العراق بعد خروجه من المعتقل فى بغداد سنة ١٩٤٤ وكانت الرقابة يومئذ تحد من الحريات بسبب الحرب العالمية الثانية ، قال الأستاذ فى مقدمته : « وكانت معالجة القضايا العامة بصورة جدية وصريحة من أصعب الأمور على كاتب مثلى فى ذلك الحين ، فالحرب ما زالت قائمة ، والأفكار الحرة خاضعة للرقابة السياسية ، وهذه الرقابة لا تتورع عن كيل التهم لمن لا يجارونها فى اتجاهاتها من الوطنيين الأحرار ، وكان مجال « التأويل » واسعاً فى هذا الشأن إلى حد صارت معه الكتابة بمنطق سليم ورأى سديد من الأمور العسيرة » فالمؤلف يكتب هذه المقالات بقلم « الصحافى » الذى عاقته الرقابة عن الصراحة والجرأة ، ولا يكتب بقلم « الكاتب الأديب » الذى يحفل بموضوعه ويصوغه بكل قوته وبكل وسعه فى التفكير والتعبير . وقد كتبت المقالات « عفو الساعة » لا لتنشر فى كتاب بل لتنشر فى « صحيفة » يقرؤها « جمهرة » قراء الصحف المتعة والتسلية والفائدة ، وربما كان ذلك بعض السر فى « خفتها » ويسرها ، وشفيع الأستاذ عند قرائه ما أوجزنا الإشارة إليه من أعذار مقبولة إن شاء الله . وقد اتخذ الأستاذ لمقالاته حين نشرها عنوانها « أذن وعين » لأنه كما قال أراد أن يروى فيها ما تسمعه « الأذن » ويصف فيها ما تراه « العين » وبهذا العنوان نشر مجموعته هذه وهى « المجموعة الأولى » من تلك المقالات .

وليست هناك فكرة « جامعة مشتركة » بين مقالات هذه « المجموعة » وتكاد كل مقالة تستقل بموضوع ، والمؤلف يعالج موضوعه فى حيز ضيق علاجاً هيناً قلما ينفذ إلى الصميم ، وقصاراه لمسة رفيقة هنا ووخزة طائرة هناك بلا تأن ولا استقصاء فى الدرس سواء فى ذلك الموضوعات التى روى فيها ما سمعته أذنه والموضوعات التى رأتها « عينه » بل مثلها أيضاً الموضوعات الفكرية التى لم يتقيد فيها المؤلف بعنوانه « أذن وعين »

وليس من همى هنا أن أعرض على القراء الموضوعات التى تناولها الأستاذ فى مجموعته لا بالتفصيل ولا بالإجمال ، وحسبى الإشارة إلى بعضها . فنها اتحاد الأمة العربية ، والتنظيم السياسى ، وآثاره ، وسياسة التوجيه فى الأمة ، ومعنى العروبة ومن تشملهم ، والقومية العالمية وأسسها ، والدعوة إلى معرفة حق الأديب ، والقومية والمالية ، وبعض نواحى المشكلة الفلسطينية ، وتدوين الأدب الشعبى فى العراق وحرية الأقلام . ونرجو أن تكون المجموعة الثانية » أنضج وأعمق لتكون جديرة بجمعها فى كتاب .

٢ - كأس ومصباح

تأليف الأستاذ محمد أديب مجوى

هذه مجموعة من عشر أقاصيص نشرت فى صحف حلب ، سماها كاتبها باسم الأقصوصة الأولى منها « كأس ومصباح » كما جرت عادة القصصيين أخيراً اقتداء بقصصى فرنسا دون إضافة « وقصص أخرى » ويتراوح طول الأقصوصة منها بين اثنتى عشرة صفحة وأربع صفحات ؛ والمجموعة مصدرة بقصيدة جيدة للأستاذ عمر أبو قوس مدير مطبوعات حلب يقدم بها المجموعة إلى القراء ، ويليها إهداء كتبه صاحب المجموعة على قبر أبيه يهدى إليه مجموعته لأنه هو الذى تقبل أولى قصصه بالرضا والإكبار ثم مات وتركه يناضل الأيام .

وربما كانت محنة النفس الغضة بهذه الفاجعة وما تلاها هى منشأ ماتنبض به أقاصيص المجموعة جميعاً من قلق وكآبة وسخرية عابسة ، وبقية الأقصوصة فى هذه المجموعة سليمة يعززها الصدق فى الإحساس ، والاستقامة فى التفكير ، والقصد فى الخيال ، وأسلوب التعبير عربى صحيح تغلب عليه الأناقة مع إفراط فى الاستعارة لا يوهن من تماسكه ولا يحجب ما يريد صاحبه التعبير عنه من معان وصور ، ومع ميل إلى الغموض ناشىء عن الاكتفاء باللمسات السريعة الخاطفة المتفرقة عن الاسترسال لملء كل فراغ فى الصورة ، ومن شأن هذا الأسلوب أن يثير الشعر والخيال فينطلقان لملء هذه الفراغات على أى نحو يناسب ما حولها

محمد خليفة التونسى